المرحلة : الثانية **المادة : تاريخ المغرب العربي الاسلامي**

الفصل : الثالث **عدد الساعات: ٢**

مفردات المنهج

الأول. المغرب قبل عمليات التحرير العربي الاسلامي :

١- التعريف ببلاد المغرب .

٢-اقسام بلاد المغرب .

٣- البيئة الاجتماعية لبلاد المغرب .

ثانيا. مراحل تحرير بلاد المغرب :

أ- الدوافع والاهداف للتحرير .

ب- قادة التحرير واهم المعارك .

١- معاوية بن حديج الكندي . ٢- عقبة بن نافع الفهري .

٣- بناء مدينة قيروان . ٤- ابو المهاجر دينار .

٥- زهير بن قيس البلوي .

٦- حسان بن نعمان الغساني . ٧- موسى بن نصير .

ج- العوامل التي ساعدت على تحرير المغرب.

ثالثا. اهم الامارات العربية في بلاد المغرب :

اوضاع المغرب الممهدة لقيام الامارات .

أ- امارة الادارسة (نشوءها -امرائها - علاقتها بالخلافة العباسية - بناء مدينة فاس

ب- امارة الاغالبة (نشوءها -امرائها - علاقتها بالخلافة العباسية).

ج- امارة العبيديين (نشوءها -امرائها - علاقتها بالخلافة العباسية).

د- امارة المرابطين (نشوءها -امرائها - علاقتها بالخلافة العباسية) .

و- امارة الموحدين (نشوءها -امرائها - علاقتها بالخلافة العباسية)

المصادر : تاريخ المغرب العربي الاسلامي / خليل ابراهيم السامرائي

الباب الأول

الفصل الأول

- التسمية .
- جغرافية البلاد .
- السكان .

الفصل الثاني

- تأريخ المغرب العربي قبل الاسلام .

١ - العصور الحجرية القديمة .

٢ - العصر التأريخي .

٣ - عصر السيطرة الأجنبية .

الدكتور ناطق صالح مطلوب

الفصل الأول

- التسمية -

اصطلح الكتاب على تسمية المناطق التي تلي حدود مصر الغربية حتى المحيط الاطلسي بأسم « المغرب العربي » وتشمل ليبيا . وتونس . والجزائر . والمغرب الجالي . وموريتانيا .[١] ولم تكن هذه التسمية بدعاً من القول لأنها تستند الى حقائق انسانية ذات مظاهر سلالية واقتصادية واجتماعية . وعوامل تأريخية موغلة في القدم تمخضت عن وحدة الفكر والتراث ووحدة الهدف والمصير .[٢]

وعرفت بلاد المغرب العربي منذ اقدم العصور بأسماء متعددة . فقد أطلق العرب الفينيقيون على السكان الذين سكنوا حول مدنهم طاقة[٣] « اوتيكا » وقرطاجنة ، اسم « أفري »[٤] وعنهم أخذها اليونان .[٥] فأطلقوها على جميع سكان المغرب العربي ابتداء من غرب مصر حتى المحيط الاطلسي . ومنها اشتق اسم « افريقية » اي ، بلاد الافري .[٦]

---

(١) سعد زغلول ، تأريخ المغرب العربي ، ١ / ٦١ ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ .

(٢) عبدالعزيز بن عبدالله ، معطيات الحضارة المغربية ، ١ / ٧ ، الرباط ، ١٩٦٣ .

(٣) وكانت تسمى المدينة القديمة وقرطاجنة المدينة الجديدة .

(٤) حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ١ .

(٥) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ١ و ٢ ، وينظر ، عبدالعزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ / ١٢٥ ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

(٦) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ١ ، وينظر ، السراج الحلل السندسية في الاخبار التونسية تحقيق ، محمد الحبيب الهيلة ، تونس ، ١٩٧٠ ، ج ١ ق ٢ ص ، ٥٢٨ وما بعدها .

وعندما تمكن الاستعمار الروماني من احتلال مدينة قرطاجنة سنة ١٤٦ م ، اطلقوا أسم ، افريقية على جميع مناطق نفوذ الفينيقيين « قرطاجنة » وماحولها(٧) حتى نوميديا غرباً(٨)

ثم بدأ مدلول هذه اللفظة في الاتساع ليتماشى مع اتساع نفوذ الغزاة الرومان حتى شمل معظم بلاد المغرب .(٩)

وفي بداية حروب التحرير العربية اطلقت لفظة « أفريقية » لدلالة على جميع الأقاليم مما يلي اقليم طرابلس غرباً .(١٠) ثم تحدد مدلولها لتعني الاقليم الذي نشأت فيه مدينة القيروان فقط . وهو مايسمى بالمغرب الادنى .

وعلى الرغم من ان بعض المؤرخين ظل يخلط بين مدلول لفظتي افريقية والمغرب ولايميز بينهما .(١١) فقد انتهى لفظ أفريقية لدلالة على الاقليم الذي تتوسطه مدينة القيروان وحده من غرب طرابلس حتى بجاية . وانتهى لفظ المغرب ليشمل عموم أقاليم البلاد وحدها من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي وأفريقية جزء منه .(١٢)

وعلى هذا الاساس تقسم بلاد المغرب العربي الى أقسام اربعة :

---

(٧) سالم ، المرجع السابق ، ٢ / ١٢٥ .

(٨) وهو الاقليم الذي يقابل اليوم الجزء الشرقي من تونس .

(٩) حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ٢ .

(١٠) وقد كتب عمرو بن العاص كتاباً الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) يعد تحرير مدينة طرابلس يستأذنه فيه بمواصلة الزحف غرباً ، نصه ، « ان الله قد فتح علينا طرابلس ، وليس بيننا وبين افريقية الا تسعة أيام ، فان رأى أمير المؤمنين ان يغزوها ويفتحها الله على يده ، فعل » ابن عبد الحكم ، ٢٣٢ ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، وينظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ٢٣٧ ، ط ١ ، وينظر سعد زغلول ، ١ / ٦٧ و ٦٨ .

(١١) حسين مؤنس ، ٢ . وينظر العبادي ، في تأريخ المغرب والأندلس ، ط ١٩٧٨ ، ص ، ٩ .

(١٢) حين مؤنس ، ٤ ، سالم ، ٢ / ١٢٥ و ١٢٦ . وينظر العبادي في تأريخ المغرب والاندلس ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ، ٩ و ١٠ .

وللوقوف على آراء المؤرخين في ذلك ، ينظر ، ابن حوقل ، صورة الارض ، طبعة بيروت ٦٤ ، ٦٥ ، البكري ، طبعه الجزائر ، ص ، ٦ وما بعدها . ابن الشماع ، الادلة البينة النورانية ، طبعة سنة ١٩٨٤ ، ص ، ٢٠ و ٢١ .

١ ـ برقة « انطابلس »(١٣) وطرابلس « طربيله »(١٤)

وهما أول اقاليم المغرب فيما يلي حدود مصر الغربية . والملاحظ ان بعض المؤرخين يدخلون هذين الاقليمين ضمن المغرب الادنى « افريقية » وقد يدخلون اقليم طرابلس فقط دون اقليم برقة(١٥) . وفصل اقليمي برقة وطرابلس عن اقاليم المغرب الاخرى يعود الى كون هذين الاقليمين قد كانا يشكلان وحدة مستقلة في بداية حروب التحرير العربية مرتبطة ارتباطاً طبيعياً بمصر أكثر من ارتباطها بالمغرب العربي(١٦) .

٢ ـ المغرب الادنى « افريقية »

وهو أول اقاليم المغرب . واقربها الى مركز الخلافة في المشرق العربي . ويمتد من طرابلس حتى بجاية غرباً . وقاعدته مدينة القيروان(١٧) .

٣ ـ المغرب الاوسط .

وسمي بالاوسط لتوسطه المغربين الادنى والاقصى وحدوده من بجاية غرباً حتى وادي ملوية وجبال تازة في الغرب . وقاعدته مدينة تلمسان وهو يضم معظم بلاد الجزائر الحالية(١٨) .

---

(١٣) وتعني المدن الخمس التي يتكون منها الاقليم ، قورنية وسوسة وطوكره وبرنيق وبرقة وهي قاعدة الاقليم واشهر مدنه . ينظر ، البكري ، المغرب ، طبعه الجزائر ، ص ، ٤ ، مجهول ، الاستبصار بغداد ـ ١٩٨٦ ، ص ، ١٤٢ . وينظر ، سعد زغلول ، ١ / ٦٣ والهامش السابع .

(١٤) وتعني المدن الثلاث ، أياس (طرابلس) وليدة ، وصبرة . ينظر ، البكري ، ٧ ، الاستبصار ، ١١٠ .

(١٥) السلاوي ، ٧١ .

(١٦) حسين مؤنس ، ٥٠ و ٥١ ، سعد زغلول ، ١ / ٦٤ وما بعدها .

(١٧) حسين مؤنس ، ٤ .

(١٨) ابن خلدون ، ٦ / ١٠٢ .

٤ ـ المغرب الاقصى .

وامتداد هذا الاقليم من وادي ملوية . حتى مدينة آسفي على ساحل المحيط الاطلسي[١٩] . ويشمل المغرب الحالي . وموريتانيا .

ـ جغرافية البلاد ـ

تؤلف بلاد المغرب العربي . ابتداءً من خليج سرت حتى المحيط الاطلسي باقاليمها المختلفة . وحدة جغرافية وبشرية مميزة عن بقية اجزاء القارة الافريقية[٢٠] حتى إنها قد عرفت في القرن التاسع عشر باسم « افريقية الصغرى » او بلاد أطلس اشارة لسطحها الجبلي . وهي بلاد يتجاوز طولها ثلاثة الاف كيلو متر . وعرضها حوالي الفي كيلو متر . ومساحتها على هذا الاساس تبلغ ستة ملايين كيلو متر مربع[٢١] .

تحدها المياه من جهتي الشمال والغرب . وبعض مناطق الشرق . وتحدها الصحراء الكبرى من الجنوب[٢٢] .

وطبيعة هذه البلاد الجغرافية تتدرج تحت اقسام ثلاثة رئيسة :

الاول : الاقليم الساحلي :

ويمتد على طول شواطيء البحر المتوسط . حتى مدينة طنجة . ثم يستمر محاذياً للمحيط الاطلسي . حتى مدينة نول في بلاد السوس . واغلب هذه المناطق مناطق سهلية صالحة للزراعة[٢٣] .

والثاني ، الاقاليم الجبلية .

حيث تخترق البلاد المغربية سلسلة جبال درن أو جبال اطلس وهي جبال

(١٩) ابن خلدون ، ٦ / ١٠١ ، وللمؤرخين اجتهادات في تقسيم بلاد المغرب العربي ، ينظر وعلى سبيل المثال ، ابن الشماع ، ٣١ ، السراج ، ج ١ ق ١ ص ، ٢٢٥ ، العبادي ، ٩ .

(٢٠) يقول ابن خلدون ، ٦ / ٩٨ « ان المغرب قطر واحد مميز بين الاقطار » .

(٢١) ابن منصور ، قبائل المغرب ، الرباط ١٩٦٨ ، ج ١ / ٣ و ٤ .

(٢٢) ابن خلدون ، ٦ / ٩٨ وما بعدها .

(٢٣) ابن منصور ، ١ / ٩ .

ضيقة وعرة الدروب والمسالك . تكلل قممها الثلوج في فصلي الشتاء والربيع . وتنقسم هذه السلسلة الجبلية الى ثلاثة أقسام :

١ ـ الأطلس الساحلي ، ويمتد غرباً من جبال أنجيره على ساحل بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) ويشمل جبال غمارة وجبال الريف وجبال بني يزناتن وترارة ويدوغ وغيرها[٢٤] .

٢ ـ الاطلس التلي ، ومبتدأه من المغرب الاقصى . ومنتهاه في تونس بجبال الخمير ويشمل جبال كندافه وكلاوه . والمدحوس . وبادو وتلمسان وونشريس . والجرجرة .

٣ ـ الاطلس الصحراوي ، ويمتد من الغرب الى الشرق . ويشمل جبال باني ودرعة . وصغرو . والقصور . واولاد نائل . ويرتفع كثيراً عند اوراس[٢٥] . وينتهي في تونس بجبال زغوان وفي ليبيا بجبال نفوسة[٢٦] .

وهناك قسم رابع يسمى النجود العليا . يقع بين الاطلسين التلي والصحراوي . وارتفاعه يتراوح بين سبعمائة والف ومائة متر[٢٧] .

والثالث ، الاقليم الصحراوي :

وامتداده من واحات برقة ثم فزان وزويلة وارجلا الى سجلماسة الى وادي درعة حتى المحيط الاطلسي غرباً . وعلى الرغم من الصبغة الصحراوية التي حملها هذا الاقليم . فان ينابيع المياه والواحات تنتشر في اغلب المواضع . وكان القوافل تجتاز هذا الاقاليم من مصر حتى المغرب الاقصى لقصره عن الطريق الشمالي بحوالي ثلث المسافة[٢٨] . واما المناطق التي لا خصب فيها ولا ماء فهي الهضاب التي تعرف باسم الحمادة[٢٩] . وهي اراضي صخرية حرشة جرداء اشتهرت منها الحمادة الكبيرة بين سجلماسة ووادي جير . وكانت القوافل تقطعها في ثلاثة ايام . ثم

(٢٤) ابن منصور ، ١ / ٨ .

(٢٥) يبلغ ارتفاع قمة الشلية « ٢٢٢٨ م » .

(٢٦) ابن منصور ، ١ / ٨ . وينظر ، الجوهري ، شمال افريقية « دراسة جغرافية » طبعة الاسكندرية ، ص ٦ . »

(٢٧) ابن منصور ، ١ / ٩ .

(٢٨) سعد زغلول ، ١ / ٧٣ و ٧٤ .

(٢٩) ابن خلدون ، ٦ / ١٠٠ « وبدايتها من دوتر ـ كذا ـ الى بلاد ربيع » .

الحمادة التي تفصل وادي جير عن وادي الساروة . ثم الحمادة الواقعة بين وادي الساروه وتوات ثم الحمادة الكبيرة الواقعة في الطريق المؤدي من وادي ايكون الى وارجلا وهي مسيرة اربعة ايام في ارض جرداء . ويستمر الطريق من وارجلا الى وادي ريغ ثم وادي سوف وقبل الوصول الى نفزاوة في الجنوب التونسي توجد سبخة هشة يخترقها طريق ضيق تسلكه القوافل بعيراً أثر بعير(٣٠) .

وتتخلل بلاد المغرب انهار متعددة . تدعى اودية . حتى وان كانت غزيرة المياه دائمة الجريان وأهمية هذه الانهار او الاودية تتحدد بالمصادر التي تغذيها طوال السنة او لفترة زمنية محددة . فأنهار كلوس وسبو وابي رقرارق وام الربيع تنبع من الجهات العالية التي تكثر فيها الامطار والثلوج وتصب جميعها في المحيط الاطلسي(٣١) .

وثمة أنهار تغرز مياهها شتاءاً وتجف صيفاً كنهر ملوية وتافنا وشلف وسومام ومجردة والمليان وكلها تصب في البحر المتوسط . وينبع قسم من الانهار من المنحدرات الجنوبية لجبال اطلس ويتجه نحو الصحراء ويضعف شيئاً فشيئاً حتى يتلاشى في رمال الصحراء ومنها على سبيل المثال ،
نهر الداورة والساورة ،الناموس والغرغار . وفضلاً عن الانهار تنتشر البحيرات في معظم اقاليم المغرب العربي وبعض هذه البحيرات تظل مغمورة بالمياه طوال فصول السنة . وبعضها تتبخر مياهها في الصيف فتتحول الى منطقة ملحية يطلق عليها اسم ، الشط أو السبخة .

ـ السكان ـ

اطلق المؤرخون على السكان الذين يعمرون بلاد المغرب العربي ، اسم البربر . وللمؤرخون في تفسير هذه الكلمة عدة اراء ، فمنهم من يفسر الكلمة تفسيراً لغوياً . فيرى ان لغة القوم وكانة تختلط فيها الاصوات غير المفهومة حتى قيل لهم ، « ما

(٣٠) سعد زغلول ، ١ / ٧٤ .
(٣١) ابن منصور ، ١ / ١٠ .
(٣٢) ابن خلدون ، ٦ / ١٠١ و ١٠٢ ، ابن منصور ، ١ / ١٠ .

اكثر بربرتكم »(٣٣) . وقيل ، إن لغة البربر يكثر فيها استعمال حرفي الباء والراء . فقيل ماهذه البربرة .(٣٤)

ونسب البعض هذه التسمية الى جدهم الاعلى بر او بربر . والحقيقة ان الاختلاف في أصل هذه التسمية مازال قائماً . وان سكان المغرب يأنفون من تسمية « البربر » ويطلقون على انفسهم اسم الامازيغ « الرجل الحز »(٣٥) او ربما سموا باسماء قبائلهم(٣٦) .

وقد وصف ابن خلدون البربر بقوله : « هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ملأوا البساط والجبال من تلوله وارياضه وامصاره ، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ، ومن الخوص والشجر ، ومن الشعر والوبر . ويظعن اهل العز والغلبه منهم لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة ، لا يجاوزون فيها . الريف الى الصحراء والقفرالامس . ومكاسبهم الشاء والبقر ، والخيل في الغالب للركوب والنتاج ، وربما كانت الابل من مكاسب اهل النجعة منهم شأن العرب ، ومعاش المستضعفين منهم بالفلح وبدواجن السائمة ؛ ومعاش المعتزين اهل الانتجاع والاظعـــان في نتـــاج الابل ، وظلال الرماح وقطع السابلة ، ولباسهم واكثر اثاثهم من الصوف ، يشتملون الصماء بالاكسيه المعلمة ، ويفرغون عليها البرانس الكحل ، ورؤسهم في الغالب حاسرة ، وربما يتعاهدونها بالحلق .)(٣٧)

والبربر قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية في عصور موغلة في القدم ثم اعقبت ذلك هجرات اخرى من بلاد الشام ومصر استقرت في اقاليم المغرب المختلفة .(٣٨) وقد كشفت الحفريات جماجم بشريه ، وجدت في ليبيا والجزائر

(٣٣) ابن خلدون ، ٦ / ٨٩ ، وذكر ابن خلدون ، « ان افريقش ابن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وافريقية وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والامصار ... رأى هذا الجيل من الاعاجم وسمع رطانتهم ... فقال ما اكثر بربرتكم فسموا بالبربر » وينظر ايضا ، ص٩٦ .
(٣٤) سعد زغلول ، ١ / ٨٠ والهامش رقم ، ٨٢ ، العبادي ، ١٣ .
(٣٥) ابن خلدون ، ٦ / ٨٩ وينظر البلاذري ، فتوح ، ٢٣١ .
(٣٦) ابن منصور ، ١ / ٢٦٤ ، العبادي ، ١٣ .
(٣٧) ابن خلدون ، ٦ / ٨٩
(٣٨) ولابن خلدون رايا في اصول البربر ، ينظر ، العبر ، ٦ / ٩٧ .

واليمن وفلسطين ، ووجد بين هذه الجماجم الاربع تطابق كامل ، وقدر عمر تلك الجماجم بأكثر من خمسين الف سنة .(٣٩)

وقد عثر على فك انساني ينتمي الى العصر الحجري القديم الاوسط في كهف هو افتيح غرب درنة في ليبيا ، واستخدم الكربون المشع في اختبار عمر الفحم الخشبي الذي وجد في مواقد هذا الموقع الراجعة الى تلك الحقبة ، وقد اعطيت سنة (٤٣,٠٠٠) ق . م تاريخاً له . « وقد ثبت من الدراسات المقارنة تشابه هذا الانسان مع انسان نياندرتال في فلسطين ، كما ان هذا التشابه ايضاً تمكن ملاحظته في الصناعة الحجرية المنتمية لهذه المرحلة ، مما يؤكد وجود نوع من الصلات الحضارية ، والبشرية بين جنوب غرب اسيا ، وشمال شرقي ليبيا »(٤٠) واثبتت الحفريات ايضاً وجود علاقة قوية بين انسان العصر الحجري القديم الاعلى في المغرب ، ونظيره انسان الوطن العربي في المشرق وحدد عمر الاثار المكتشفة بحوالي (٢٨,٠٠٠) او (٢٩,٠٠٠) سنة قبل الميلاد .(٤١) ولاحظ الدارسون ايضاً وجود شبه علاقة بين الاثار المكتشفة في مواقع انسان العصري الحجري الحديث في المغرب ، والمواقع الأثرية في الفيوم بمصر .(٤٢) وهذه العلاقة والتشابه يدلان دلالة قاطعة على ان انسان المشرق والمغرب من اصل واحد ، وان اقدم هجرة عربية الى بلاد المغرب حسب المكتشفات الاثارية قد كانت في حدود خمسين الف سنة قبل الميلاد ،إن لم تكن أقدم من هذا التاريخ بكثير .

وتتفرع قبائل المغرب العربي « البربر » الى فرعين كبيرين هما :

أ ـ البتر :

نسبة الى مادغيس بن بر الملقب بالابتر ، وقبائلهم كثيرة ، تنتشر من مناطق واسعة من بلاد المغرب العربي ، حتى لايكاد اقليم من اقاليمه يخلو من جماعة منهم .

---

(٣٩) عشبان سعدي ، الاصول العربي للبربر ، بحث منشور في مجلة آفاق عربية ، العدد ٩ / السنة الخامسة ، ص ٨ .

(٤٠) الناضوري ، ١ / ٦٢ .

(٤١) الناضوري ، ١ / ١١٢ .

(٤٢) الناضوري ، ١ / ١٢٦ ، وينظر ، جوليان ، ١ / ٥٨ .

والبتر في معظمهم قبائل رحالة تنتقل من مكان الى آخر طلباً للكلأ ، وتنتشر في اقاليم النخيل الممتدة من غدامس الى السوس الاقصى ، وهي تكوّن اغلب سكان القرى والمناطق الصحراوية ، ويمتاز البتر بالروح الحربية العالية ، وفرسانهم من اشجع فرسان البربر ، وقد كان لهم دوراً فاعل في نشر الاسلام في المغرب العربي والاندلس وجنوب الصحراء .

اما اعتزاز البتر بالعروبة فلا يعادله اعتزاز ، فقد استمسك بها كتابهم وشعراؤهم ، وافتخروا بها على من عداهم .(٤٣)

واشهر قبائل البتر ، قبيلة اداسة ، وهم بنو اداس بن زحيك بن مادغيس الابتر ، وتتفرع من اداسة قبائل اندارة ، واوطيطه ، وترهونة ، وصنبره وهداغه ، وهنزولة ، وشتاتة ومنها قبيلة معروفه باسمها مستقرة بالجبال الغربية من نهر مجردة بتونس .

ـ وقبائل نفزاوة : وهم بنو يطوفت بن نفزاو بن لوا الاكبر ، كانت مواطنهم جنوبي شط الجريد ، حتى سميت المنطقة ببلاد نفزاوة ، ثم تفرعت قبائلهم في سائر المغرب واستوطنت في مناطق متعددة منه(٤٤) . ومن قبائلهم . مكلاته ، واصلهم كما يقول ابن خلدون : من عرب اليمن ، ولها بطون متعددة مثل بني ورياغل وكزناية وبني يصلتن ، وبني يزناسن ، ويقال ان غساسة منهم(٤٥) وولهاصة ، اكبر قبائل نفزاوة سميت باسم ابيها ولهاص بن يطوفت وزاتيمة ، وزهيلة وكانوا بنواحي بادس مندمجين في قبائل غمارة ، ومجر ، ومرتيسة وسوماته في نواحي القيروان وملياتة في المغرب الاوسط ، ورغوس وكانت تسكن مدينة تيجس العتيقة ووردين ، ووركول ، ومنهم ايضاً قبائل ورفجومة ، وكانت ورفجومة كما يقول ابن خلدون ، من « اوسم بطون نفزاوة واشدهم بأساً » ومواطنهم بجبال اوراس(٤٦) .

ـ وقبائل لواتة : « وهم بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر ينتسبون الى لوا الاصغر بن لوا الاكبر بن زحبك »(٤٨) .

---

(٤٣) ابن منصور ، ١ / ٢٩٩ .

(٤٤) ابن منصور ، ١ / ٣٠٣ .

(٤٥) ابن خلدون ، ٦ / ١١٤ ، ابن منصور ، ١ / ٣٠٦ .

(٤٦) تاريخ ابن خلدون ، ٦ / ١١٤ .

(٤٧) ابن خلدون ، ٦ / ١١٥ .

(٤٨) ابن خلدون ، ٦ / ١١٦ ، وينظر ، ابن حزم ، الجمهرة ، ٤٩٨ وهو يزعم ان لواته من القبط .

ومواطنهم في برقة واقليم طرابلس قبائل في جبال اوراس وفي تاهرت[٤٩]، وكانت قبيلة لواته من اوائل القبائل التي دخلت في الاسلام، وشاركت القوات العربية في حروب التحرير.

ومن اشهر قبائلها، مزيتة وهي من اكبر قبائل لواته.

وجدانة، ومفاغة، وعزوزة، واكورة، وجرمانة، ومغانة وسدراته وهم بطون كثيرة اختلطت بقبائل مغراوة وبطونها[٥٠].

– وقبائل نفوسة، نسبة الى نفوس بن زاجيك، وهم بطن واحد تنسب اليه نفوسة كلها، وكانوا من اوسع قبائل البربر وفيهم قبائل كثيرة، وموطنهم بجهات طرابلس، واليهم ينسب الجبل الواقع قبالتها، وكانت مدينة صبرة من مدنهم المعروفة قبل الاسلام[٥١]. ومن اشهر قبائلها، بنو زمور، وماطوسة وبنو مسكور[٥٢].

– وقبائل ضريسة، بنو ضريس بن زحيك، واشهر قبائلها، درنة، او دونة، اخوة مغيلة ومعدودون منها.
وكشاتة، وهم ايضاً اخوة لمغيلة.

وكوحيه، وكانوا يعرفون بصطفورة، ولهم ثلاثة بطون منها تفرعت قبائلهم وبطونهم وهي ندرومة، وصغارة، وبنو يلول وموطنهم بجبال تراره شمال غرب مدينة تلمسان، وهم قبيل عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين.[٥٣] ولماية: من قبائل ضريسة المعروفة بوفرة العدد، كانوا ظواعن بافريقية والمغرب ومواطنهم بالتخوم الجنوبية مما يلي الصحراء، وهم الذين آزروا عبد الرحمن بن رستم واتخذوا له مدينة تاهرت مركزاً، وتفرق أمرهم بعد خراب تاهرت وبقيت منهم بقية بين زوارة وطرابلس في قرية حملت اسمهم[٥٤].

ومديونه: من قبائل المغرب المشهورة، كانوا بنواحي تلمسان وشاركت

---

(٤٩) ابن خلدون، ٦ / ٩٦، ١١٧، البكري، ٥.
(٥٠) ابن خلدون، ٦ / ١١٧، ابن منصور، ١ / ٢٠٤.
(٥١) ابن خلدون، ٦ / ١١٤.
(٥٢) ابن منصور، ١ / ٢٠٨.
(٥٣) ابن خلدون، ٦ / ١٣٦.
(٥٤) ابن خلدون، ٦ / ١٢٠ – ١٢٢، ابن منصور، ١ / ٢٠٩، وينظر، البكري، ١٨.

جماعات منهم في فتح الاندلس، وعندما زاحمتهم القبائل في مواطنهم لجاؤا الى حصون جبل تاسالة وجبل وجدة.[٥٥]

ومطماطة: واسم ابيهم مصكاب، ومطماط لقب له، وهم قبيلة كبيرة منتشرة في عموم بلاد المغرب، واليهم ينسب الجبل الواقع جنوب تونس.[٥٦]

ومطغرة: ومواطنهم بالمغرب الاقصى. دخلوا الاندلس في حملة طارق بن زياد، واستقرت منهم جماعة كبيرة في تلك البلاد.

وقد فشت فيهم دعوة الخوارج الصفرية، فخرجوا على عبدالله بن الحبحاب سنة ١٢٢ هـ، وتمكن زعيمهم ميسرة المطغري من الحاق هزائم متعددة بقواته[٥٧].

ومغيلة: استوطنت وادي شلف بالمغرب الاوسط، ومنهم، جماعة كبيرة بالمغرب الاقصى، وقد عاضدت قبائل مغيلة ادريس بن عبدالله ومكّنته من تاسيس دولته سنة ١٧٢ هـ[٥٨].

مديونة: احدى القبائل التي كانت مع مغيلة لمؤازرة ادريس بن عبدالله[٥٩].

وزناتة: من ولد زانا او جانا بن يحيى بن ضريس، وزناتة من اكبر القبائل البربرية واوفرها عدداً كان لها في تاريخ المغرب العربي نصيب واخر. ومواطنهم بصحراء المغرب ما بين غدامس الى ما وراء الساورة، ثم وطنوا المغرب الاوسط حتى سمي بوطن زناتة، والقسم الشرقي من المغرب الاقصى الى جبال تازة. والى زناتة ينسب بنو مرين سلاطين الدولة المرينية، وبنو عبد الواد حكام تلمسان[٦٠].

وزوارة، ويقال، انها من قبائل كتامة من البربر البرانس، ومواطنهم بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة، وهي مناطق وعرة صعبة المسالك. ومن مشاهير بطونهم بنو عردان وبنو تورغ، وبنو عيسى، وبنو موسى، وبنو شعيب[٦١].

---

(٥٥) ابن خلدون، ٦ / ١٢٥.
(٥٦) ابن خلدون، ٦ / ١٢٢.
(٥٧) ابن خلدون، ٦ / ١١٨، ١١٩.
(٥٨) ابن منصور، ١ / ٢١٠.
(٥٩) ابن منصور، ١ / ٢١٠.
(٦٠) ابن منصور، ١ / ٢١١، عبد العزيز بن عبدالله، ٩ وما بعدها، العبادي، ١٥.
(٦١) ابن خلدون، ٦ / ١٢٨، وقارن، ابن منصور، ١ / ٢١١.

وزواغة ، قال ابن خلدون : « واما زواغة فلم يتأد إلينا من اخبارهم وتصاريف احوالهم ما نعمل فيه الاقلام ولهم ثلاث بطون وهي : دمر بن زواغ ، وهراوطيل بن زحيك ... وبنو ماخر بن زواغة ، ومن دمر سمكان وهم اوزاع في القبائل ومنهم بنواحي طرابلس مفترقون في براريها ولهم هنالك الجبل المعروف بدمر ، ومن جهات قسنطينة ايضاً رهط من زواغة ، وكذلك بجبال شلف ... وبنواحي فاس . »(٦٢)

ومكناسة ، وهم قبائل عديدة ، مشهورة في تأريخ المغرب موطنهم على وادي ملوية من منبعه بجبال الاطلس المتوسط حتى مصبه في البحر المتوسط ، وباسم هذه القبائل سميت مدينة مكناسة ، وكانت رئاسة هذه القبائل في بني ابايرون واسمه مجدول بن ناقريس .

وخرجت قبائل منهم الى الاندلس فاستقرت بها وكانت لهم بها رئاسة ولبعض زعمائهم عداوة لعبد الرحمن الداخل ، واخبارهم في بلاد المغرب مفصلة اختصر ابن خلدون بعضاً منها(٦٣) .

ب ـ البرانس :

وهم البربر الذين عرفوا بالاستقرار وسكنى المدن وكان معظمهم ينزل في المناطق الساحلية القريبة من البحر والمناطق الجبلية الممتدة عبر المغرب ، والبرانس ـ كما يؤكد المؤرخون ـ اكثر حضارة وتمدناً من البربر البتر كما كانوا أكثر تأثراً منهم بالدول التي توالت على حكم المغرب العربي .

ومن اشهر قبائل البرانس أزداجة ، وأوربة ، واوريغة وكتامة ، ومصمودة ، وصنهاجة ، وعجيسة ، واضاف بعض النسابة : ولنطة ، وهسكورة ، وكزولة .(٦٤)

- وقبائل أزداجة ، ويعرفون ايضاً بوزداجة ويقال ان ازداجة من زناته .
- وكانَ موطنهم بنواحي وهران في المغرب الاوسط ، وكانت لهم كثرة ووفرة ، شاركوا في الحوادث التي جرت يومئذ في بلاد المغرب ونكبوا عدة مرات ومن بطونهم مسطاسة ، وبني مسكن .(٦٥)

- وقبائل أوربة منهم ولد أورب بن برنس وكان زعيمهم في بداية حروب التحرير العربية سكرديد بن زوغي المتوفي سنة ٧١ هـ ومواطنهم المشهورة في مناطق تلمسان ثم انتقلت الى مناطق وليلي بعد اندحار كسيلة امام زهير بن قيس البلوي سنة ٦٩ هـ ومن قبائلهم ديقوسة ، وزهجولة ، ولجاية ، ومزياتة ، ونفاسة ، ونيجة .(٦٦)

- قبائل اوريغة اوهوارة وهم بنو اوريغ بن برنس ويقال إنهم من عرب اليمن ، وانهم اخذ بطون قضاعة وتارة يقال : إنهم من ولد المشور بن السكاسك بن حمير .(٦٧) .

وقبائل اوريغة كثيرة وكانت مواطنهم في اول حروب التحرير بنواحي طرابلس وما يليها من اقليم برقة ثم انساحوا مع حركة حروب التحرير وانتشروا في عموم المغرب ، وشاركوا في فتح الاندلس مع طارق بن زياد ، ودخلوا صقلية مع اسد بن فرات زمن الاغالبة ويدخل في قبائل هوارة عدد كبير من القبائل واكثرها شهرة : اسيل وسطات ، ومليلة ، ومسلاته ، وقبائل اخرى .(٦٨)

- وقبائل كتامة ينسبون الى كتام بن برنس وهم من حمير وتعد كتامة من أشهر قبائل البربر البرانس واشدها رأساً وهم اهل استقرار وحضارة وكانت مواطنهم باقليم قسنطينة وفي شرق المغرب الاوسط وفي جبال اوراس وكانت لهم في تلك المناطق مدن مشهورة مثل مدينة اسطيف ، وباغية ، وميلة ، وجيجل وغيرها . ومن قبائلها المشهورة جيملة ، ولهيصة ، واجانه ، وماوطن ، ومتوسة ، وزوارة ، ومصالة ، وغيرها .(٦٩)

- قبائل مصمودة وهم ابناء مصمود بن برنس ، ومواطنهم الاصلية في شمال المغرب الاقصى وتبدأ رقعة انتشارها من حدود بلاد الريف الى المحيط الاطلسي غرباً ثم تمتد الى الجنوب الى تامسنة ودكالة حتى جبال الاطلس الكبير والمناطق المطلق على اقليم السوس وقد اختصت مصمودة بسكنى جبال المغرب الاقصى وظلت على حالها حتى دخول القوات العربية بلاد المغرب .

---

(٦٢) تاريخ ابن خلدون ، ٦ / ١٢٩ ، وينظر : البكري ، ١٨ .
(٦٣) ابن خلدون ، ٦ / ١٢٩ و ١٣٠ ، ابن منصور ، ١ / ٣١٢ ، عبد العزيز بن عبدالله ، ١٠ .
(٦٤) ابن منصور ، ١ / ٣٠١ .
(٦٥) ابن خلدون ، ٦ / ١٤٤ .
(٦٦) ابن خلدون ، ٦ / ١٤٦ ، وينظر البكري ، ٥٥ ، بعد العزيز بن عبد الله ، ١١ .
(٦٧) ابن خلدون ، ٦٠ / ١٣٩
(٦٨) ابن خلدون ، ٦ / ١٣٩ ـ ١٤٤ .
(٦٩) ابن خلدون ، ٦ / ١٤٨ ، وينظر ، البكري ، ٦٢ ، عبد العزيز بن عبد الله ، ١٠ .

ومن اشهر قبائل مصمودة قبيلة برغواطة .(٧٠) وحاحة ، ودكالة ، ورجراجة ، وغمارة وهم مصامدة الشمال وكانوا من اشهر البربر وقد سموا بأسم غمار بن مصمود ومواطنهم على ساحل البحر المتوسط في حد بلاد الريف الى المحيط الاطلسي وتمتد على السهول الساحلية . وقبيلة هرغة وهي قبيلة المهدي بن تومرت وقبيلة هنتانة ، وقبيلة هيلانة . وقبيلة وريكة وغيرها من القبائل الاخرى .(٧١)

– قبائل صنهاجة . بنو صنهاج بن برنس وهم من حميَر وقبائل صنهاجة من اكبر قبائل البربر على الاطلاق وتنتهي قبائلهم وبطونهم الى سبعين قبيلة ينتشرون في معظم بلاد المغرب العربي .(٧٢) لا يخلوا منهم جبل ولا بسيط ومواطنهم الاصلية أربعة :

١ ـ الناحية الواقعة بين بجايه ، والمسيلة ، ومليانة ، ولمدية ، بالمغرب الاوسط .
٢ ـ الناحية الواقعة بين نهر كرط ، وبلاد غمارة ، والبحر المتوسط بالمغرب الاقصى .
٣ ـ والناحية الواقعة بين المحيط الاطلسي ووادي درعة والسفوح الخلفية لجبال الاطلس .
٤ ـ مناطق الصحراء الكبرى الممتدة من غدامس الى المحيط الاطلسي وبلاد السودان باقصى الجنوب .(٧٣)

واهم قبائل صنهاجة هي : قبيلة بجاية ، وقبيلة بطوية ، وقبيلة جزولة ، وقبيلة كدالة وهي من قبائل الملثمين في الصحراء وقبيلة لمتونة مؤسسي الدولة المرابطية وقبيلة لمطة ، وقبيلة مليانة ، وهم من بطون صنهاجة المغرب الاوسط وقبيلة مسوفة ، وقبيلة فشتالة ، وقبيلة هكسورة وقبائل عديدة اخرى منتشرة في عموم المغرب العربي .(٧٤)

(٧٠) ابن خلدون ، ٦ / ٢٠٧ .
(٧١) ابن خلدون ، ٦ / ٢٠٧ ومابعدها .
(٧٢) ابن خلدون ، ٦ / ١٥٢ .
(٧٣) ابن منصور ، ١ / ٢٢٩ ، وينظر ، عبد العزيز بن عبد الله ، ١١ وما بعدها .
(٧٤) فصل ابن خلدون الكلام عن قبائل صنهاجة ودورها في احداث المغرب العربي تفصيلاً وافياً . ينظر ٦ / ١٥٢ وما بعدها .

– قبائل عجيسة ، وهم بنو عجيسة بن برنس وكانت هذه القبائل تجاور في مواطنها لصنهاجة المغرب الاوسط وبعضهم يسكن جبل القلعة « قلعة بني حماد »(٧٥)

ـ الاقليات غير الوطنية ـ

واضافة الى سكان المغرب الاصليين « البربر » وجدت هناك اقليات سكنت المغرب العربي ومن هذه الاقليات :

١ ـ الافارقة : وهم السكان الذين اختلطوا بالروم ، ودخلوا في خدمتهم وتأثروا بعاداتهم وتقاليدهم ، كما اعتنقوا النصرانية في بداية امرهم ، واسلم قسم كبير منهم عند دخول القوات العربية بلاد المغرب ، لكنهم ظلوا محافظين على لغتهم الخاصة ، وعاداتهم ، وكانوا ميالين الى مؤازرة الخارجين على السلطة المركزية .(٧٦)

٢ ـ الروم : وهم بقايا الاستعمار الروماني ، آثرت جالية منهم البقاء في المغرب بعد تحريره ودخل بعضهم الاسلام ، في حين ظلت غالبيتهم على معتقداتهم السابقة ، وكانوا يتمركزون في بعض اقليم الجريد ، وقسطيلية .(٧٧)

٣ ـ السودان : ووجود السودان في المغرب العربي قديم ، وعلاقة المغرب مع امم السودان الغربي والشرقي وثيقة جداً .(٧٨) واستمرت هذه العلائق في العصور الاسلامية وازدهرت في عصر المرابطين .(٧٩)

٤ ـ واضافة الى ذلك فقد وجدت جماعة من اليهود ، يمارسون التجارة واعمال الربا بين السكان شأنهم في كل زمان ومكان (٨٠)

(٧٥) ابن منصور ، ١ / ٢٣٦ .
(٧٦) سعد زغلول ، ١ / ١٠٦ .
(٧٧) الاستبصار ، ١٥ .
(٧٨) دنيز بولم ، الحضارات الافريقية ، ترجمة ، نسيم نصار ، ط ٢ ، ١٩٨٢ ، بيروت ، ص ٢٢ وما بعدها .
(٧٩) سعد زغلول ، ١ / ١٠٨ .
(٨٠) العبادي ، ١٦ .

- الديانة .

كان معظم السكان يدينون بالديانة الوثنية ، ويقدمون القرابين لالهة ذكر منه الاله ماكورتا ، ويوتا ، وماكورفوس وماتيلا(٨١) ، واهتم - الفينيقيون ببناء المعاب للاله تاميت والذي كانت تقدسه قبائل عديدة من السكان .(٨٢) كما كانت عباد الشمس والقمر وغيرهما من الظواهر الطبيعية منتشرة في اواسط واسعة .(٨٣) اضاف الى عبادة الاشجار والحيوانات ، وتقديس الملوك ورؤساء القبائل .(٨٤)

وقد عرفت قبائل معينة بعبادة آلهة خاصة بها ، فاهل ودان كانوا يقدسو صنماً كبيراً من الحجارة ، ويقدمون له القرابين(٨٥) ، وكانت قبائل اخرى تقد الكباش وتتبرك بها .(٨٦)

وكانت الكاهنة ملكة جبال اوراس وقومها من جراوة يعبدون صنماً كبيراً من الخشب ، يحمل معها حيث رحلت .(٨٧)

وكانت اعمال الشعوذة والسحر منتشرة بين صفوف بعض القبائل ، وكان لهذ الاعمال اثر كبير في نفوس العامة من السكان ، ولعل خير مثال على ذلك ما كانت تقوم به الكاهنة من اعمال حتى ، تمكنت من سلب لب وارادة قومها من جراوة عن طريق التنبؤ ، واخبارهم بأمور لم يألفوها .(٨٨)

ووجدت الديانة اليهودية طريقها الى المغرب ، فدانت بها قبائل من السكان كما انتشرت الديانة النصرانية في المناطق والمدن الساحلية التي كانت خاضعة لنفوذ الغزاة البيزنطيين . « غير ان كل هذه الديانات في الواقع ، كانت منتشرة انتشاراً سطحياً ضعيفاً ، بمعنى انها انتشرت بالاسم فقط ، ولم يكن لها غلبة او نفوذ ، بدليل ان العرب لم يجدوا صعوبة في اجتذاب المغاربة الى الاسلام ، حتى صاروا من اشد الناس دفاعاً عنه . »(٨٩)

(٨١) السالح ، ١ / ٥٨ .
(٨٢) الناصوري ، ١ / ١٢٧ .
(٨٣) ابن خلدون ، ٦ / ٩٤ .
(٨٤) السالح ، ١ / ٨٥ .
(٨٥) البكري ، ١٢ .
(٨٦) البكري ، ١٦١ .
(٨٧) السالكي ، ١ / ٢٥ .
(٨٨) ينظر مثلاً ، ابن عذاري ، ١ / ٣٧ .
(٨٩) العبادي ، ١٧ .

الفصل الثاني

تاريخ المغرب العربي قبل الاسلام

١ - العصور القديمة .

يتميز تاريخ المغرب العربي ، بخصائص ومقومات هامة اثرت في تكوينه الحضاري ومنذ عصور موغلة في القدم ويمكن تتبع هذه الخصائص المقومات في عاملين اساسين هما ، الموقع الجغرافي ، وبيئة بلاد المغرب .

فالمغرب العربي ، يشغل المناطق الشمالية ، والشمالية الغربية من قارة افريقية وهذا الموقع هيأ له ومنذ القدم الاتصال بأوربا من ناحية وبسكان افريقية عبر المناطق الجنوبية والشرقية من ناحية اخرى ، ومن ثم ارتباطه الوثيق بالوطن العربي ، الوطن الام ، ولا يخفى ما لهذه الاتصالات من تأثيرات على تاريخ المغرب في نواح عديدة .

وبيئة بلاد المغرب وطبوغرافيتها ، فرضت على الانسان ظروفاً قاسية دعته الى بذل جهود كبيرة ولسنوات طوال في سبيل تطويعها الى جانبه ، فسلاسل جبال أطلس التي تمتد من الجنوب الغربي ، حتى الشمال الشرقي الى جانب الهضاب ، والمناطق الوعرة والصحراوية ، الى وجود الانهار الدائمة الجريان ، والاخرى الموسمية ، مع ندرة الاراضي السهلية ، والتي لا تشكل الا جزءاً يسيراً من مساحة البلاد الكلية ، وكان لتأثير البيئة اثر في قيام انماط من الحياة في المناطق الساحلية تختلف اختلافاً كبيراً عن قرينتها في المناطق الداخلية والسبب المباشر يعود وقبل كل شيء الى صعوبة الاتصال بين المنطقتين بسبب قساوة البيئة .

وثمة ظاهرة اساسية حكمت تاريخ المغرب العربي ، تلك هي الجمع بين الصفة المحلية والصفة الدولية ضمن نطاق حوض البحر المتوسط .[١] وسنلاحظ هذه الظاهرة بوضوح خلال دراستنا لتاريخ المغرب عبر العصور .

ويتقسم تاريخ المغرب العربي القديم الى ثلاثة اقسام رئيسية :

القسم الاول : عصور ما قبل التاريخ ، وتنقسم بدورها الى :

- العصر الحجري القديم الاسفل .
- العصر الحجري القديم الاوسط .
- العصر الحجري القديم الاعلى .
- العصر الحجري الحديث .[١]

وتعتبر مرحلة العصر الحجري القديم الاسفل من اطول واهم مراحل تاريخ الانسان القديم ، ومهمة الانسان خلال هذه المرحلة لم تكن بالمهمة السهلة ، فقد صارع خلالها عوامل الطبيعة بكل ما تحمله من قساوة ، وتغلب عليها بفضل تفوقه العقلي وصموده امام الصعاب ، واجبرته عوامل الطبيعة على اختيار الاودية والسهول ومصادر المياه كمواطن له . يؤمن منها قوت يومه لتستمر حياته ، والالتجاء الى الكهوف والمغارات ليحمي نفسه من تقلبات الطبيعة والوحوش المفترسة ، وقد تطلبت حياته هذه صنع ادوات مختلفة مما وجد حوله من الحجر او العظام او الخشب لتعينه على تحقيق مهماته في جمع القوت والدفاع عن نفسه ، ومن هنا بدأت حضارة الانسان القديم ، ومع مرور الوقت تعددت ادواته المصنوعة بناء على تعدد حاجاته ولم يقتصر مجهود هذا الانسان على الجانب المادي فقط بل حاول استكمال حياته المادية بجانب معنوي . وقد عثر على بعض الاثار التي تؤيد اتجاه انسان هذا العصر نحو الايمان ببعض المقومات المعنوية .[٢]

---

(١) الناضوري ، المغرب الكبير ، العصور القديمة ، طبعة ١٩٦٦ ، ج ١ / ص ، ٢١ ـ ٢٣ .
وينظر ، الحسن السالح ، الحضارة المغربية عبر التاريخ ، ط ١ ، ١٩٧٥ ، الرباط ، ج ١ ، ص ، ٢٨ .

(٢) قسم ابن منصور ، العصور الحجرية التي مرّ بها انسان المغرب العربي الى ثلاث اقسام رئيسية ، هي القديم ، والمتوسط ، والحديث ، ينظر ، قبائل المغرب ، ١ / ٢٦ .

(٣) الناضوري ، ١ / ٦٧ وما بعدها . جوليان ، تاريخ افريقية الشمالية ، ترجمة . محمد مزالي تونس ، ١٩٦٩ ، ج ١ ص ٥٠ .

وقد قسم العلماء المراحل الحضارية التي مر بها انسان هذا العصر الى مرحلتين اساسيتين .

المرحلة الاولى : وتبدأ بصناعة الادوات الحجرية ، وجهود الانسان في عملية « تشذيب الحجر في اتجاه واحد او عدة اتجاهات » وقد اطلق على حضارة هذه المرحلة اسم حضارة « الحصى المشذب » وقد وجدت اثار هذه المرحلة في مواقع عرباوة ، ودوار الدوم في نواحي الرباط ، وترديجه الرملا في نواحي غابة المعمورة ، وتقع جميع هذه المواقع في غربي المغرب الاقصى .[٣]

المرحلة الثانية : وهي المرحلة الاشولية ، وتقسم الى ثلاث اقسام ، القديمة والوسطى ، والمتطورة ، وفي هذه المرحلة سادت حضارة النواة المشذبة ذات الوجهين ، وتضمنت المرحلة الاشولية ، طبقات ثمانية ، من الاولى حتى الثامنة ، وقد عثر على اثار هذه الحضارات في :

أ . المواقع الساحلية ، ومنها موقع سيدي عبدالرحمن ، وموقع مارتن ، وموقع دبرية .[٤]

ب . المواقع السهلية ، التي لجأ اليها الانسان بحثاً عن القوت ، ومصادر المياه ومنها موقع عين كرمان جنوبي غربي مدينة الاصنام ، ومواقع تمدا في اعالي وادي سبو ، وموقع قفصة ، وسيدي الزين .

جـ ـ مواقع العيون ، التي تجمع عندها الانسان كموقع عين حنش ، وموقع ثيت حليل ، وموقع عين فريطسة ، وبحيرة كارار قرب تلمسان .

د . المواقع الصحراوية ، ومنها موقع ثيهودين في منطقة جبال الهجار .[٥]

وكانت النقلة من حضارة الحصى المشذب الى حضارة النواة ذات الوجهين بطيئة جداً ، وقد تميزت بظهور الفئوس اليدوية ، والمكاشط والمحكات الى غير ذلك من الادوات التي كان وجودها دليل تعدد حاجات الانسان لتنقله بعد ذلك الى العصر الذي يليه .[٦]

---

(٣) الناضوري ، ١ / ٨٢ ، وينظر ، جوليان ، ١ / ٥٠ .

(٤) ومعظم هذه المواقع تقع في نواحي مدينة الدار البيضاء في المغرب الاقصى .

(٥) الناضوري ، ١ / ٧٠ ـ ٧٥ ، جوليان ، ١ / ٥١ .

واما مرحلة العصر الحجري القديم الاوسط ، فتتميز عن المرحلة السابقة بميزة هامة هي ، صناعة الشظايا ، والتي مما لاشك فيه قد اخذت وقتاً طويلاً من انسان ذلك العصر كي يهتدي الى صناعة الشظايا التي تلائم حاجاته . وقد كشف عن مواقع اثرية عديدة تحمل اثار هذا العصر ومنها ، على سبيل المثال مواقع وادي درنة في ليبيا حيث عثر في هذا الموقع على عظام حيوانية كثيرة خاصة الاغنام مع ادوات حجرية حيوانية لصناعة الشظايا وقدرت البقايا المتفحمة المكتشفة في طبقات كهف هوافتيح في وادي درعة بـ ٤٣,٠٠٠ سنة قبل الميلاد والصلة بين حضارة هذه المواقع ، وحضارة المواقع المكتشفة في فلسطين وثيقة جداً مما يدل دلالة قاطعة على وجود صلات حضارية وبشرية بين الانسان العربي في المشرق والمغرب ، اضافة الى وجود اثار الصناعة العتيرية في بعض المواقع الليبية مما يؤيد وجود الصلات الحضاريو والبشرية ايضاً بين اقاليم المغرب المختلفة في هذه الفترة ايضاً .

ويعتبر موقع بئر العتير « الحضارة العتيرية »[٧] مثالاً للتعبير عن ما وصله انسان هذا العصر في مجال صناعة الشظايا ، والمكاشط الجانبية ، ورؤس السهام والازاميل وغيرها ، وقد اكتشفت هذه الاثار في مواقع مغربية كثيرة اهمها ، كهف الخنزيرة ، وكهف مغارة العليا قرب طنجة ، وكهف دار السلطان بين الرباط والدار البيضاء اضافة الى اكتشاف مواقع اخرى في تونس وشرقي الجزائر .

وقد تميز هذا العصر ايضاً ببداية تطور المعابد ، أو الاماكن المقدسة فقد عثر في موقع جنوب تونس على اكوام متناسقة من الكرات الحجرية الكبيرة ، تتوسط المواقع الاثرية قد تدل على انسان هذا العصر بدأ باتخاذ هذه الاماكن للتقدس وللاستغاثة بها ضد القوى الشريرة .[٨]

وتعتبر مرحلة العصر الحجري القديم الاعلى ، من اهم مراحل التطور الحضاري ، ذلك لان هذا العصر يمثل خلاصة التجارب التي مر بها الانسان خلال السنوات الطويلة ، وعبر العصور الحجرية القديمة السالفة الذكر ، ومهد لظهور العصر الحديث الذي يمثل ارقى عصور الانسان القديم .[٩]

---

(٧) ينظر ، جوليان ، ١ / ٥١ .
(٨) الناطوري ، ١ / ١٠٤ و ١٠٥ .
(٩) الناطوري ، ١ / ١٠٥ ؛ السالح ، ١ / ٢١ .

وتتميز هذه المرحلة من حياة الانسان بابتكاره لأنواع مختلفة من الاسلحة الحجرية الدقيقة عرفت باسم الادوات « الميكروليثية »[١٠] فقد شعر الانسان خلال هذه المرحلة بحاجته الى اسلحة خفيفة يسهل حملها والتعامل معها بسهولة ، مع شدة فاعليتها .

وانتشرت مخلفات هذه المرحلة في العديد من المواقع الاثرية في الجبل الاخضر بليبيا في مواقع كهف حجفة الطير ، وحجفة الضبع ، وكهف هوافتيح . وتاريخ هذه الحضارة يعود الى حوالي (٢٨,٠٠٠ أو ٢٩,٠٠٠ ق . م) .[١١] كما وجدت اثار هذه الحضارة في مدينة قفصة . وقد قسم الاختصاصون حضارة قفصة الى قسمين رئيسيين تبعاً للمراحل التي مرت بها ، وهما الحضارة القفصية السفلى ، والحضارة القفصية العليا . وقد وجدت اثارها في مواقع عديدة اشهرها ما اطلق عليه اسم الرماديات أو الحلزونيات ، وهي التلال التي تجمعت فيها بقايا الطعام والقواطع والادوات الحجرية المستخدمة خلال هذه الفترة .[١٢]

وقد انتشرت الحضارة القفصية في تونس ، وشرق الجزائر ، إضافة الى مناطق اخرى من بلاد المغرب العربي .

واضافة الى ما سبق ، هناك الحضارة الوهرانية الساحلية ، والتي تميزت ، « بصناعاتها الحجرية الخاصة حيث يلاحظ ان النواة الحجرية التي استخدمها انسان هذه الحضارة كانت صغيرة ومسطحة أو مستطيلة أو بيضاوية ، وتشبه الى حد كبير صناعة موقع حجفة الطير » .[١٣]

وقد ازدادت قدرات الانسان الفكرية خلال هذا العصر ، فبدأ ببعض الرسومات والمنحوتات البدائية للتعبير عن بعض مايجول في فكره ، ففي موقع « المكتا » جنوب تونس ، وجدت مجموعة من النقوش ومنحوتات من الحجر يدل على ان انسان هذا العصر لايزال يبحث عن الامان ، ويتقرب الى القوى الخفية بطرق مختلفة ، اتقاءً لشرها ، كما ان اهتمام انسان هذا العصر بالرسوم والنقوش تعد مرحلة

---

(١٠) الناطوري ، ١ / ١٠٦ .
(١١) الناطوري ، ١ / ١١٢ .
(١٢) الناطوري ، ١ / ١١٢ ، وينظر جوليان ، ١ / ٥٣ و ٥٤ .
(١٣) الناطوري ، ١ / ١١٤ ، ويقع هذا الموقع على بعد ١٥ ميلاً من مدينة بني غازي .

هامة في تطور التعبير الانساني والتي ستوصله الى مرحلة التعبير بالكتابة في بداية العصر التاريخي .(١٤)

واما مرحلة العصر الحجري الحديث ، فهي المرحلة الاخيرة من المراحل التي مرّ بها الانسان القديم ، قبل مرحلة التدوين التاريخي ، وتعد هذه المرحلة نقلة هامة وحاسمة من حياة الانسان القديم ، فقد انتقل من عصر جمع القوت الى عصر انتاج القوت وخزنه ، ومن حياة التنقل وعدم الاستقرار الى حياة الاستقرار وبناء الملاجيء لسكناة ، اضافة الى الاستقرار الفكري التي تمتع به انسان هذه الفترة ، لذلك يعتبر العصر الحجري الحديث ، ثورة في حياة الانسان ،(١٥) وقد ثبت من التحري الدقيق لتراث الانسانية أولوية الانسان العربي في التوصل الى مرحلة الانتاج والاستقرار المادي والفكري ، وقد سبق انسان المشرق العربي اخاه انسان المغرب العربي في هذه الثورة ، وتقدم عليه ، فتوصل الى زراعة البذور والانتاج ، وتخزين محصوله ، وبناء المساكن ، ورصف الطرق ، واعتمد المقابر لموتاه ، والمعابد للاله .

وكان لاختلاف ظروف الانسان القديم في المغرب العربي سبباً في تأخره عن انسان المشرق العربي ، فالبيئة المغربية بطبيعتها الجغرافية ، وجهت الانسان العربي في المغرب الى « طابع آخر في مجال التطور الحضاري فبينما كان الطابع المميز لحضارات المشرق العربي القديم هو الزراعة ، نجد ان الرعي هو الطابع الذي يميز هذه المرحلة في بلاد المغرب ، وان وجدت مظاهر الانتاج الزراعي ، فهي محدودة في اغلب الاحيان ، ذلك لان طبيعة البيئة تتفق مع حياة الرعي اكثر من اتفاقها مع حياة الزراعة ، ولهذا السبب ايضاً تأخر العصر الحجري الحديث في المغرب عن ظهوره في المشرق العربي بحوالي الف سنة ، فقد بدأ في المشرق في منتصف القرن الالف السادس قبل الميلاد بينما بدا في المغرب اواسط الالف الخامس قبل الميلاد ، وبينما انتهى هذا العصر في المشرق في منتصف الالف الرابع قبل الميلاد ، حيث تبدأ العصور اللاحقة يستمر هذا العصر في المغرب لغاية سنة ١٢٠٠ ق . م ، ويعود ذلك كما قلنا الى الصعوبات البيئية التي واجهها الانسان العربي القديم في بلاد المغرب مما تطلب منه جهوداً مضنية ووقتاً اطول لتطويع بيئته والتغلب على الصعوبات التي واجهته .(١٦)

(١٤) التاطوري ، ١ / ١٣١ . جوليان ، ١ / ٥٦ .
(١٥) التاطوري ، ١ / ١٣٢ ، دنيز ، ١٨ .
(١٦) التاطوري ، ١ / ١٣٤ .

وقد وجدت اثار العصر الحجري الحديث في موقع هوافتيح ، حيث عثر على مجموعة من الاواني الفخارية الدالة على استقرار الانسان وميله الى تخزين قوته ، وقد ارخت اثار هذه الفترة بحوالي النصف الثاني من الالف الخامس قبل الميلاد ، وقد لاحظ الدارسون لهذه الاثار وجود علاقات وصلات حضارية بين ما اكتشف في هذه المواقع ، وما اكتشف في مواقع الفيوم الاثرية بمصر .(١٧)

ووجدت اثار هذا العصر ايضاً في مواقع الكهوف الساحلية ، فقد عثر في هذه المواقع على الاواني الفخارية الكروية الشكل ، أو البيضوية الشكل ذات القواعد المدببة ، زينت بعضها بحزوز أو خطوط اسفل الفوهة ، وقسماً منها لها ثقوب في الناحية العليا ، وبروز جانبي ليسهل امر حملها ونقلها من مكان لآخر .

واستمر انسان هذا العصر باستخدام اسلحة الشظايا الدقيقة ورؤوس السهام ، كما بدات معه محاولات لصناعة حلى الزينة .(١٨)

وزادت الرسومات التعبيرية لأنسان العصر الحجري الحديث ، فقد خلف الكثير من النقوش والرسومات على الصخور ، وعثر في الكهف الاحمر بنواحي تبسة على نقوش طرزت ببيض النعام ، واهتم الانسان بالدرجة الأولى برسوم حيوانات بيئية كرسوم الكباش التي تحمل فوق رؤوسها رموزاً بيضاوية الشكل ، وأمامها رسم رجل يرتدي قميصاً وحزاماً عريضاً ، اضافة الى رسومات أخرى عثر عليها في برقة وجنوب وهران . وتؤرخ رسوم هذه المرحلة بالفترة الممتدة من حوالي منتصف الالف الثالث حتى منتصف الالف الأول قبل الميلاد .(١٩)

وبنهاية هذا العصر يبدأ في بلاد المغرب العربي وابتداء من سنة « ١٢٠٠ قبل الميلاد » عصراً جديداً هو ، العصر التأريخي ، والذي يعتبر من أهم العصور في تأريخ المغرب .

(١٧) التاطوري ، ١ / ١٣٦ ، وينظر جوليان ، ١ / ٥٨ ، السالح ، ١ / ٢٤ .
(١٨) التاطوري ، ١ / ١٣٦ ، وينظر ايضاً ، عبدالعزيز بن عبدالله ، ١ / ٢٩ .
(١٩) التاطوري ، ١ / ١٣٦ ـ ١٤٤ ، جوليان ، ١ / ٥٨ ـ ٦١ .

القسم الثاني ، العصر التأريخي .

ـ العصر الفينيقي .

ويبدأ هذا العصر بوصول العرب الفينيقين[١٩] بلاد المغرب ، وتأسيسهم لأعظم دولة عربية قامت في المنطقة آنذاك . ولعبت الاسباب السياسية والاقتصادية والبشرية دوراً في هجرة العرب الفينيقين من بلاد الشام الى المغرب العربي ، ولم يلاق الفينيقيون أي صعوبات تذكر في نزولهم السواحل المغربية ، ذلك لأن الهجرات العربية من بلاد الشام وغيرها من الوطن العربي كانت قد سبقت الفينيقيين على الاستقرار في المغرب منذ العصور الحجرية القديمة .

ويؤرخ العصر الفينيقي في المغرب بنهاية الالف الثاني قبل الميلاد وحتى منتصف القرن السادس قبل الميلاد ، وقد تميز بالنشاط التجاري الواسع في مناطق البحر المتوسط الغربية ، وبارتباطه الوثيق بمدينة صور في المشرق العربي ، وقد ظل هذا الارتباط واضحاً في كثير من المجالات حتى بعد استقلال المراكز الفينيقية في المغرب بقيام دولة قرطاجنة .[٢٠]

وقد عمل الفينيقين على تأسيس مراكز تجارية لهم على طول السواحل المغربية وداخله بلغت الخمسمائة مركزاً .[٢١] اقدمها واشهرها مدينة طاقة « اوتيكا » وسوسة ، وبنزرت ، وصلداي « بجاية » وهسبو « عنابة » وتينجيس « طنجة » وليكسوس « العرائش » وروسادير « مليلية » وقرطاجنة .[٢٢]

ولقي الفينيقيون في المجال الاقتصادي ، منافسة شديدة من قبل اليونان ، وبدأت العلائق بينهما تنحو ضحاً خطيراً ، عندما ظهرت بوادر الاختلاف بين الطرفين على اثر محاولة اليونان استحواذهم على جزيرة صقلية ، والتي كانت تجمع بين النفوذين الفينيقي واليوناني ، ومع بداية القرن السادس قبل الميلاد ، بدأ الصدام المسلح بين الطرفين ، ولما كانت مدينة صور عاجزة عن القيام بأمر الدفاع المطلوب عن املاكها في المغرب نتيجة الظروف التي احاطت بها في المشرق . انبرت مدينة

---

(١٩) عن اصل التسمية ينظر ، احمد سوسة ، العرب واليهود في التأريخ ، ط ٢ ، ص ١٩ ، طه باقر ، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٢٠) الناضوري ، ١ / ١٥٠ وما بعدها ، ابن منصور ، قبائل المغرب ، ١ / ٩٠ .

(٢١) ابن منصور ، ١ / ٩٢ .

(٢٢) ابن منصور ، ١ / ٢٥٧ .

قرطاجنة للذود عن مناطق نفوذها ضد اليونان ، ودخلت في حروب طاحنة معهم ، حتى تمكنت في النهاية من اقرار الأمن والسلام في معظم المناطق التي هددها اليونانيون[٢٣]

وهكذا كانت هذه الظروف سبباً في الانتقال من المرحلة الفينيقية المرتبطة بالمشرق العربي وبالعاصمة الأم صور ، الى المرحلة القرطاجية المستقلة ، وتم ذلك الانتقال على يد اسرة فينيقية في مدينة قرطاجنة هي الأسرة « المأجوية » نسبة الى زعيمهم « ماجو » قائد الجيش[٢٤] وقد سعى ماجو ومنذ البداية الى تكوين جيش قوي يعتمد عليه في الدفاع ، والهجوم ؛ اختاره من خيرة المقاتلين والفرسان .

ولم يعيب هذا الجيش ، غير وجود بعض فرق المرتزقة من الغال واليونانيين والزنوج وغيرهم ، وكان لهذه الفرق خطورتها « في كافة الجوانب التنظيمية والتكتيكية والقومية » ومن متطلبات الدفاع ايضاً الاهتمام بتحصين المدن وشحنها بالحاميات المزودة بكافة الاسلحة ، وهكذا بدأت مرحلة جديدة أقرب الى الصفة السياسية منها للأقتصادية ، وهي مرحلة العصر القرطاجني ، زادت خلالها الصلات بين الفينيقين وسكان المغرب العربي ،[٢٥] وانتقل فيها المغرب من الاطار المحلي الى صميم معترك التطورات السياسية الدولية في حوض البحر المتوسط .[٢٦]

العصر القرطاجني : « منتصف القرن السادس قبل الميلاد ولغاية ١٤٦ ق . م » .

يعتبر العصر القرطاجني من اهم العصور في تأريخ المغرب العربي القديم ، فقد تبوأت فيه مدينة قرطاجنة مكان الصدارة بين المدن ، واصبحت عاصمة البلاد ومركزاً مهما من مراكز الاشعاع الفكري والحضاري ، ليس على مستوى المغرب العربي فحسب ، وانما على مستوى عموم شعوب المنطقة .

---

(٢٣) الناضوري ، ١ / ١٧١ ، وينظر ، جوليان ، ١ / ٨٩ .

(٢٤) الناضوري ، ١ / ١٧٣ .

(٢٥) ابن منصور ، ١ / ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، الناضوري ، ١ / ١٧٣ .

(٢٥) الناضوري ، ١ / ١٧٣ و ١٧٤ .

تأسست مدينة قرطاجنة سنة ٨١٤ ق . م.[٣٦] وقدر لها ان تكون من اهم المدن الفينيقية في بلاد المغرب . فقد قامت بقيامها مختلف العمائر المدنية والعسكرية . ويعتبر ميناءها من اهم المنشآت القائمة في المدينة . وهو قسمين ، قسم مخصص للأغراض التجارية ، وقسم مخصص للأغراض العسكرية . وقام الميناء التجاري على مسطح مستطيل الشكل ، بينما قام الميناء البحري على شكل دائري تتوسطه جزيرة يقع عليها مقر قيادة الاسطول العسكري .[٣٧]

وقد اعتنى بتحصين المدينة اعتناءاً فائقاً ، فأحيطت بسور طوله اربعة وثلاثين كيلو متراً ، وارتفاعه حوالي ثلاثة عشر متراً ، وعرضه تسعة امتار وكانت جدران السور العالية والسميكة تستخدم بمثابة ثكنات للقوات ذات ادوار سفلية وعلوية ، فقد كانت تتسع لعشرين الف جندي ، واربعة الاف من الفرسان اضافة الى المعدات العسكرية والحيوانات المستخدمة للأغراض العسكرية ؛ ولغرض تدعيم هذه التحصينات فقد احيطت بخندق عرضه عشرون متراً . وتعتبر قلعة المدينة قصبتها المنيعة ، ومركز السلطة الزمنية ، وقد احيطت هي الأخرى بسور منيع ، واضافة الى القلعة كانت هناك بناية مجلس الشيوخ ، وقاعات القضاة ، والمعابد العديدة للاله تانيت ، والاله اشمون والمنازل ذات الادوار العديدة المتأثرة بعمائر مدينة صور[٣٨] .

ـ التنظيم السياسي ـ

مرّ التنظيم السياسي الفينيقي بمراحل ثلاثة رئيسية ،

---

(٢٦) جوليان ، ١ / ٨٦ ، وينظر ، ابن منصور ، ١ / ٥٧ ، احمد سوسة ، ٢٣ .

وعن تأسيس المدينة تردد رواية مفادها ان الأميرة الفينيقية جونوا و « عليشه ديدون » ارملة اسرباس رئيس كهنة مدينة صور ، خرجت مفاضبة أخيها بيغماليون لأستبداده بالملك واستأثاره بكنوز واموال زوجها ، فنزلت ، وعدد كبير من اتباعها المغرب العربي ، فاقامت مدينة قرطاجنة سنة ٨١٤ ق . م . وما كاد خبر قيام هذه المدينة يشيع حتى قصدها عدد كبير من اهل الشام وغيرهم من السكان الآخرين حتى بلغ عدد نفوسها في أوج عمرها المليون نسمة .

(٢٧) احمد صفر ، مدينة المغرب العربي عبر التاريخ ، طبعة تونس ، ١٩٥٩ ص ، ٩٧ .

المرحلة الأولى ؛ المرحلة الملكية :

وتعتبر امتداداً لعصر حكومات المدن الفينيقية في المشرق ، فقد كان الملك الفينيقي يُختار من بين الطبقة الثرية ، وذات الجاه التقليدي بالوراثة وهي الطبقة الارستقراطية . وقد احتكرت هذه الاسر الحكم لنفسها خلال هذه المرحلة ومنها الاسرة الماجوية .[٣٩]

المرحلة الثانية .

وتمثلت بانتزاع السلطة السياسية من الاسرة الماجوية في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، وتمثل هذه المرحلة مرحلة جديدة ، اشبه ماتكون بالنظام الجمهوري ، رغم الاحتفاظ باللقب الملكي ، وقد شهدت هذه المرحلة تعدد الوظائف السياسية ، وظهور الهيئات العديدة في مجال الحكم مثل مجلس الشيوخ المتكون من ثلاثمائة عضو ، ومجلس المائة .

وتركت السلطة السياسية بيد حاكمان . مدة حكمها سنة واحدة ولهما رئاسة مجلس الشيوخ ، أما مجلس المائة ، فكانت واجباته محصورة في مراقبة السياسة العامة وضمان سيرها في الطريق المطلوب .

المرحلة الثالثة

وقد شملت القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد . وكان الحكم خلالها لاسرة برقة ، وقد جمعت هذه المرحلة بين السلطة التي منحت لاسرة برقة ، وسلطات مجلس الشيوخ والمجلس الثلاثيني ، ومجلس العشرة ، اي الجمع بين الانظمة الملكية والارستقراطية والشعبية .

وقد تميزت المراحل الثلاث السابقة بميزتين اساسيتين ،

الاولى ، تركيز السلطات بيد المواطنين الفينيقيين دون غيرهم من عناصر السكان الاخرى .

والثانية ، الجمع ولحد كبير بين الوظائف المدنية والوظائف العسكرية[٤٠] .

---

(٢٩) جوليان ، ١ / ٢٨٩ ، الناضوري ، ١ / ١٥٠ وما بعدها .

- الصراع مع القوى الاستعمارية .

دخل الفينيقيون في صراع مع القوى الاستعمارية المتواجدة في منطقة البحر المتوسط . وحاولت هذه القوى وبطرق شتى غزو املاك الفينيقيين والسيطرة عليها ، ففي المرحلة الاولى من العصر القرطاجني بدات القوى اليونانية في محاولات لبسط سيطرتها على مناطق هي الاصل من مناطق نفوذ الدولة القرطاجية . ومع بداية العصر القرطاجني الثاني ، تبدا صفحة الصراع العنيف مع القوى الاستعمارية الرومانية ، واستمر هذا الصراع طويلاً حتى تمكن الغزاة الرومان من دخول قرطاجنة وابادة اسباب الحياة والحضارة فيها سنة ١٤٦ ق . م .

وبدا الصراع مع القوى الاستعمارية اليونانية خلال القرنيين الخامس والرابع قبل الميلاد ، وكانت جزيرة صقلية ميدان الاحتكاك بين الطرفين فقد كانت هذه الجزيرة تجمع بين النفوذ القرطاجني ، والنفوذ اليوناني ، وكان حكام المدن فيها يرتبطون برباط الولاء لهذه القوة او تلك ويحتمون بحمايتهم وكانت خلافات حكام المدن فيما بينهم ، سبباً في تجريد الحملات العسكرية وتجديد اسباب النزاع بين القوتين القرطاجية واليونانية[٣٠] .

فعندما قام ثرون حاكم مدينة اكراجاس والمدعوم بالنفوذ اليوناني بمهاجمة مدينة هميرا استنجد حاكمها تريلوس بقرطاجنة ، ولم تتوانى قرطاجنة عن انجداده فسيرت الى الجزيرة حملة كبيرة ، شاركت فيها القوات البحرية والبرية ، قادها هملكار « عملقات » فنزل ساحل الجزيرة ، ودارت بينه وبين جلون قائد الجيش اليوناني الصقلي معركة شديدة اضطر خلالها الفينيقيون الى الانسحاب والعودة الى قرطاجنة بعد مقتل قائدهم وخسارتهم لاعداد كبيرة من السفن[٣١] .

ورغم توقف نشاط الفينيقيين العسكري فترة طويلة من السنين[٣٢] ، فقد عاودوا الكرة سنة ٤٠٩ ق . م[٣٣] ، عندما طلب حاكم مدينة سجستا الدخول تحت حماية قرطاجنة لصد خطر اليونان الذين باتوا يهددون كيانه . فقاد هانيبال بن جزجو حفيد هملكار حملة نزلت على مدينة سلينوس . فانتصر على قواتها ثم زحف نحو

(٣١) ينظر : جوليان ، ١ / ٨٩ ، الناضوري ، ١ / ١٨٧ .

(٣٢) جوليان ، ١ / ٨٩ ، ويجعل تاريخ الحملة سنة ٤٨٠ ق . م ، وينظر الناضوري ، ١ / ١٨٨ .

(٣٣) جوليان ، ١ / ٨٩ .

(٣٤) جوليان ، ١ / ٩١ .

مدينة هميرا لاستعادة السيادة القرطاجية عليها بعد ان فقدتها في المعركة السابقة . وحاول حاكم سوقوسة « سيراكيوز » وقف تقدم القوات الفينيقية ومنعهم من استعادة مدينة هميرا ، ولكن هانيبال اعتمد مناورة ذكية ، عندما ترك مدينة هميرا ، واظهر نيته في الزحف والسيطرة على سرقوسه ، مما اثار فزع قواتهم المتواجدة لحماية هميرا ، فغادروها للدفاع عن مدينتهم سرقوسة عندها عاد هانيبال مسرعاً فدخل مدينة هميرا ، وتمكن من استعارة نفوذ قرطاجنة على القسم الغربي من الجزيرة ، لتأمين خطوط مواصلاتها البحرية في غرب البحر المتوسط[٣٥] .

وقد استمر الصراع عنيفاً بين القوات القرطاجية وحكام سرقوسة طيلة فترة القرن الرابع قبل الميلاد ، ووقعت بين الطرفين معارك عديدة اشهرها معركة موتيا سنة ٣٩٨ ق . م والذي تمكنت فيها قوات قرطاجنة من انزال افدح الخسائر بين صفوف القوات السرقوسية البحرية والبرية[٣٦] . ورغم تمكن السرقوسيين من احراز بعض التقدم في معارك سنة ٣٩٣ ق . م وسنة ٣٨٢ ق . م[٣٧] . الا ان قرطاجنة تمكنت من المحافظة على مناطق نفوذها في جزيرة صقلية ، ولم يتمكن السرقوسيين وحلفاءهم من تحقيق اهدافهم .

وبعد ان تمكن الرومان من توطيد سلطانهم في ايطاليا ، وجهوا انظارهم نحو جزيرتي صقلية وسردينيه ، ووجدوا في تواجد الفينيقين فيهما تهديدا لأمن وسلامة دولتهم من ناحيتي الجنوب والغرب ، وبدات العلاقات بين الطرفين تنذر بالصدام المسلح ، وكان لحكام المدن في جزيرة صقلية اثر كبير في اذكاء نار العداوة ، وتعميق الخلافات ، وتعجيل الصدام فقامت بين الدولتين حروباً اطلق عليها اسم الحروب البونية[٣٨] ، وهي الحرب البونية الاولى والثانية والثالثة وقد استغرقت هذه الحروب طيلة سنوات القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وانتهت سنة ١٤٦ ق . م باحتلال الغزاة الرومان لمدينة قرطاجنة .

قامت الحرب البونية الاولى سنة ٢٦٤ قدم م واستمرت لغاية سنة ٢٤١ ق . م . وكانت هذه الحرب في طبيعتها حروباً بحرية ، تناطحت فيها اساطيل كلا

(٣٥) الناضوري ، ١ / ١٩٤ وما بعدها .

(٣٦) الناضوري ، ١ / ١٩٨ خسر حكام سرقوسة في هذه المعركة اكثر من مائة سفينة وعشرين الف جندي .

(٣٧) جوليان ، ١ / ٩٢ .

(٣٨) جوليان ، ١ / ٩٩ ، طه باقر ، ٢ / ٢٥٥ ، الناضوري ، ٦ / ٢٤٤ .

الدولتين . ففي سنة ٢٦٢ ق . م وقع الصدام بين الطرفين في ليبارا ، ثم ميلاي بجوار مدينة مسينا . ورغم تمكن الغزاة الرومان من احراز بعض الانتصارات على القوات القرطاجية . الا انهم منوا بهزيمة كبيرة في موقعه ترماي سنة ٢٥٩ ق . م . ولكي يتجنب الرومان قوة الاسطول القرطاجي . فقد عملوا على نقل المعارك من المجال البحري الى المجال البري وتمكنوا في سنة ٢٥٦ ق.م من انزال قواتهم البرية في « اسبيس » شرق عنابة ومنها زحفوا غرباً باتجاه منطقة تونس ، وتمكنت القوات القرطاجية من وقف تقدمهم وتدمير معظم قواتهم ، وقتل قائد الحملة « رجولوس » وارتد من بقى منهم منهزماً بما تبقى لديهم من سفن الاسطول(٤٠) .

وازاء هذه الخسائر التي مني بها الغزاة الرومان ، عاودوا الهجوم على مناطق القرطاجين في جزيرة صقلية .(٤١) . واستمرت الحرب سجالاً بين الطرفين حتى سنة ٢٤١ ق . م عندما تمكن الغزاة الرومان من الانتصار على القوات البحرية القرطاجية واضطر القرطاجيون الى القبول بشروط الهدنة والتي تضمنت .

١ ـ دفع مبالغ كبيرة من الاموال الى الرمان تعويضاً عن خسائرهم .(٤٢)
٢ ـ الجلاء من جزيرة صقلية .
٣ ـ التعهد بعدم مهاجمة مدينة سرقوسة(٤٣) .

وبهذا الاتفاق انتهت الحرب البونية الاولى ، لصالح الغزاة الرومان .

واما الحرب البونية الثانية (٢١٨ـ٢٠١ق.م) فقد حاول القرطاجيون تعويض مافقدوه بعد انتهاء الحرب البونية الاولى ، فعملوا وبسرعة فائقة على بناء قواتهم العسكرية . وزودوها بكافة الاسلحة المتطورة . ووجهوا قواتهم نحو قاعدة جديدة للوصول الى روما عن طريق البر . فدخلوا شبه جزيرة ايبريا « اسبانيا » في عهد القائد هملكار ، واوهموا الرومان بأنهم لا يقصدون من هذه العملية الا لاستغلال المعادن لاغراض تجارية بحتة لتعينهم على دفع التعويضات المفروضة عليهم(٤٤) . وعندما توفي

(٣٩) الناظوري ، ١ / ٢٤٩ .
(٤٠) الناظوري ، ١ / ٢٥٠ . وينظر حوليان ، ١ / ٩٧ .
(٤١) جوليان ، ١ / ٩٧ .
(٤٢) قدرها جوليان بـ ٢٢٠٠ وزنه او بية أقساطاً مدة عشر سنين .
(٤٣) الناظوري ، ١ / ٢١٥ ، جوليان ، ١ / ٩٨ .
(٤٤) الناظوري ، ١ / ٢٥٨ ، طه باقر ، ٢ / ٢٢٥ .

هملكار سنة ٢٢٨ ق . م اتبع خلفه هزدروبال « صدربعل » سياسة اللين والمداراة مع الايبيرين وتمخضت هذه السياسة عن كسب احد زعماءهم ، ثم قام بتأسيس مدينة قرطاجنة الجديدة . ووجد الرومان في سياسة هزدروبال . وميل السكان الايبيرين نحوه . تهديداً لسلطانهم ، فسعوا الى عقد اتفاقية بينهم وبين القرطاجين سنة ٢٢٦ ق . م تعهدت بموجبها حكومة قرطاجنة بعدم تخطي نهر الايبرو في عملياتهم العسكرية .(٤٥)

وبتولي هانيبال زمام القيادة في ايبريا بدات معه سلسلة من الاعمال الجريئة لتوطيد السيادة القرطاجية . وعبر سنة ٢١٨ ق . م نهر الايبرو منهياً بذلك المعاهدة المفروضة على القرطاجين . وزحف بقواته . وهدفه مهاجمة الرومان في عقر دارهم .(٤٦) . وقد تمكن هانيبال من تجاوز جميع الصعاب التي واجهته . والانتصار على القوات الرومانية عند نهر تربيا في ايطاليا « وكان لهذا الانتصار اثره البالغ في هذه المرحلة من الصراع القرطاجي الروماني ، وبذلك لان اعداء الرومان لم يقتصروا في ذلك الوقت على العناصر القرطاجية . بل لقد كان هناك العناصر الغالية التي كانت تنتهز الوقت المناسب للزحف على روما وانهاء السيادة الرومانية . وكذلك كانت هناك بعض العناصر الايطالية الاخرى مثل العناصر السمنية في الجنوب . والتي كانت تريد التخلص من الزعامة الرومانية ... ولذلك فقد كان انتصار هانيبال على الرومان في شمال ايطاليا حافزاً على تشجيع هذه العناصر المعارضة لروما في الاستمرار على اتجاهاتها السياسية بل وتأييد هانيبال في عملياته الحربية »(٤٧) ولهذا عمد هانيبال على التحالف مع الغاليين . واطلق سراح الاسرى الايطالي الاصل . وواصل زحفه في ايطاليا . فالحق بالقوات الرومانية هزيمتين عسكريتين الاولى في تراسيمنوس في اقليم اتروريا . والثانية في كناي .(٤٨) وكان بامكان هانيبال بعد انتصاراته هذه . من التوجه نحو روما للقضاء على السيادة الرومانية . ولكن بدلاً من ذلك قرر الاتجاه نحو الجنوب . وقيل في تعليل ذلك . ان خطته هذه تتفق مع سياسته

(٤٥) جوليان ، ١ / ١٠٠ . وينظر الناظوري ، ١ / ٢٥٨ .
(٤٦) الناظوري ، ١ / ٢٥٩ ، طه باقر ، ٢ / ٢٥٥ . قدر جوليان ، ١ ـ ١٠١ قوات هانيبال بحوالي خمسين الف من المشاة وتسعة الاف من الفرسان اضافة الى سبع وثلاثين فيلاً كانت ترافق الحملة .
(٤٧) الناظوري ، ١ / ٢٦٠ و ٢٦١ .
(٤٨) الناظوري ، ١ / ٢٦١ ، جوليان ، ١ / ١٠٢ . وقد تمكن هانيبال في هذه المعركة من قتل اكثر من (١٥) الف روماني واسر (٢٠) الف وانهزمت البقية . وكانت قواتهم على حد قول جوليان (٨٠) الف مقاتل .

المعتمدة على بث الفرقة داخل ايطاليا تمهيداً لتوجيه ضربة قوية للرومان . ومن ناحية اخرى فقد كانت روما مدينة محصنة تحصيناً جيداً . ولم يكن بمقدور قوات هانيبال التعرض لها بعد ان انهكت العمليات العسكرية جهود قواته ، وطالت خطوط مواصلاته مما جعل امر تموين قواته عن طريق ايبريا « اسبانيا » او المغرب امر بالغ الصعوبة[٤٩] . وقد وضح ذلك عندما طلب الامداد من قرطاجنة فلم يمدوه الا بقوات رمزية . وكانت لمعارضة حاكم قرطاجنة لخطط واهداف هانيبال سبباً في عدم اغاثته وامداده بالقوات اللازمة . وحاول اخوه هزدروبال امداده بقوات كافية عن طريق اسبانيا . ولكن الرومان اعترضوا هذه الامدادات وتمكنوا من قتل هزدروبال وتشتيت قواته[٥٠] .

ورغم نجاح هانيبال في محالفة الغاليين والمقدونيين في عهد ملكهم فيليب الخامس الا ان هذه المحالفات لم تخرجه من المأزق الذي وقع فيه خصوصاً بعد ان اضطر القرطاجيون على اخلاء شبه جزيرة ايبريا والعودة الى بلادهم وخطط الرومان في نقل الصراع الى الساحة المغربية . فاضطر اخيراً على الانسحاب والعودة الى المغرب للدفاع عن مدينة قرطاجنة .[٥١]

وفي سنة ٢٠٢ ق . م وقعت معركة شديدة بين الطرفين اطلق عليها اسم معركة زاما « جامه » تمكن الغزاة الرومان خلالها من الحاق خسائر كبيرة في صفوف القوات القرطاجية[٥٢] حتى اجبرت هانيبال على عقد هدنة في سنة ٢٠١ ق . م تضمنت الكثير من البنود القاسية ومنها .

- تعويض الغزاة الرومان عن خسائرهم المادية في المعركة .[٥٣]
- تحديد الاسطول القرطاجي بعشرة سفن فقط .
- عدم السماح للقوات القرطاجية بدخول اي حرب داخلية كانت ام خارجية الا بموافقة الرومان .
- استلاب مساحات واسعة من الاراضي ، ومنحها لحلفاء الرومان من زعماء

(٤٩) الناطوري ١٠ / ٢٦٣ ، جوليان ١٠ / ١٠٣ .
(٥٠) الناضوري ١٠ / ٢٦٤ .
(٥١) الناطوري ١٠ / ٢٦٥ .
(٥٢) جوليان ١٠ / ١٠٥ ، طه باقر ٢٠ / ٢٥٥ .
(٥٣) ينظر مقدار التعويض ، جوليان ١٠ / ١٠٦

البربر . وبهذه الشروط التي نالت الكثير من سيادة الدولة القرطاجية ، انهى الرومان الحرب البونية الثانية .[٥٤]

وحاولت قرطاجنة بعد انتهاء الحرب البونية الثانية استعادة قدراتها العسكرية على كثرة الاعباء الثقيلة التي كانت تتحملها . ولاقت في سبيل ذلك العديد من المشاكل والعقبات . فقد انتهزت بعض العناصر البربرية المتحالفة مع الرومان هذه الظروف وبدات تغير على اراضي الدولة القرطاجية . وكان ماسينا من اشدهم خطراً على كيان القرطاجيين . في وقت لم تتمكن القوات القرطاجية من التحرك للقضاء عليه التزاماً ببنود المعاهدة . فطلبت الحكومة القرطاجية من الرومان التدخل لوقف الاعمال التخريبية التي يقوم بها ماسينا . ولكن الرومان لم يجدوا لهذا الطلب اذناً صاغية . وعندها قرر القرطاجيون القيام بسلسلة من الهجمات على قوات ماسينا ومراكز تجماعاته . وتمكنوا من تشتيت قواته غير ان الغزاة الرومان لم يطيقوا تحمل نتائج هذه الانتصارات . فهددوا بالتدخل العسكري . وهم ينوون القضاء على دولة قرطاجنة . وقد اجبرت قرطاجنة على تنفيذ كافة شروط الرومان مقابل ايقاف تهديدهم العسكري بالتدخل وكانت شروطاً مجحفة نصت على .

- تسليم كافة الاسلحة البرية والبحرية القرطاجية .
- تقديم ثلاثمائة رهينة من ابناء اعضاء مجلس الشيوخ القرطاجني[٥٥] .

وليس هذا فحسب . فقد تمادى الغزاة الرومان في مطالبهم ووضع الشروط المذله . حتى طالبوا القرطاجيون باخلاء مدينة قرطاجنة والانتقال الى مكان اخر .[٥٦] ولم يمتثل القرطاجيون لهذه الشروط التعسفية فقروا مجابهة الغزاة ومقاتلتهم حتى النهاية .

وهكذا بدأت الحرب البونية الثالثة (١٤٩ ق . م - ١٤٦ ق . م) وخلال هذه الفترة صارع القرطاجيون قوات الغزاة الروماني صراعاً عنيفاً . وكافحوا في سبيل الحفاظ على دولتهم كفاحاً مجيداً . رغم خيانة بعض زعماء البربر ومعاونتهم للغزاة . وبرز دور المرأة القرطاجية واضحاً في هذا النضال المصيري فقد سمحت باستخدام

(٥٤) الناطوري ١٠ / ٢٧٤ ، جوليان ١٠ / ١٠٩ .
(٥٥) الناطوري ١٠ / ٢٧٨ .
(٥٦) الناطوري ١٠ / ٢٧٨ .

شعورهن كحبال لبعض المستلزمات العسكرية(٥٣). وكان على راس القوات القرطاجية القائد هزدروبال. وعلى القوات الغازية القائد الروماني سكيبيو. وحاصرت القوات الغازية مدينة قرطاجنة. وتمكن القرطاجيون من اذاقة الغزاة مرّ الهزيمة مرات عديدة. واستمر القتال شديداً حتى تمكن الغزاة من احداث ثغرة في سور المدينة. فدفعوا بعض قواتهم الى الداخل بعد ان حاصروا منافذ المدينة البحرية. وفي سنة ١٤٦ ق. م زحف سكيبيو بكامل قواته لاجتياح المدينة واخضاعها. ودارت بين الغزاة وسكان المدينة معارك ضارية. وكان تصميم القرطاجيون على النصر او الموت امراً لامراء فيه. فعندما حاول القائد القرطاجني هزدروبال الاستسلام ووقف القتال حفاظاً على ارواح القرطاجيين. رفضت زوجته هذا التصرف وطالبتهُ بمواصلة القتال. ولكي تمنع زوجها القائد من اي تصرف عاطفي اتجاهها القت بنفسها واولادها في النيران المشتعلة. لتدفع زوجها القائد على مواصلة القتال وحتى الموت. وهكذا استمرت المقاومة العنيفة والقتال الشديد من دار الى دار حتى فني معظم سكانها. ولم يبق للغزاة الرومان الا الانتقام من المدينة نفسها فدمروها تدميراً كاملاً. ونهبوا كل ما وجدوه فيها من نفائس وذخائر. وبلغ حقد الغزاة ووحشيتهم الى درجة ذر الملح في ارضها وحرثها كي لا تعود صالحة للحياة مرة اخرى.(٥٤)

ـ القسم الثالث : المغرب تحت السيطرة الاجنبية.

وبسقوط مدينة قرطاجنة بيد الرومان سنة ١٤٦ ق. م دخل المغرب العربي تحت نير الاستعمار والقوى الاجنبية فسيطر عليه الرومان ثم الوندال. ثم الروم البيزنطين.

فقد حاول الغزاة الرومان بعد سقوط مدينة قرطاجنة وبكافة الوسائل العسكرية والتآمرية السيطرة على مقاليد الامور في بلاد المغرب. واعتباره ولاية من ولايات امبراطوريتهم وقسموه الى اربعة ولايات رئيسية هي :

ولاية افريقية. وتشمل الاقاليم الواقعة ما بين طرابلس وعنابة.
ولاية نوميديا. وتشمل الاقاليم الواقعة في شرقي الجزائر.

(٥٧) الناظوري، ١ / ٢٧٨، جوليان، ١ / ١٤٢.
(٥٧) الناظوري، ١ / ٢٧٨ وما بعدها، طه باقر، ٢ / ٢٥٥ و ٢٥٦، جوليان، ١ / ١٤٢ وما بعدها.

ولاية موريطانيا القيصرية. وشملت الاقاليم الواقعة غرب الجزائر حتى وادي ملوية وكانت مدينة شرشال قاعدة هذه الولاية.
وولاية موريطانيا الطنجية وشملت الاقاليم الواقعة في المغرب الاقصى مما يلي وادي ملوية غرباً. وتعتبر مدينة طنجة قاعدة هذه الولاية.

وكان على كل ولاية حاكم يتمتع بسلطات واسعة ومرتبط بحاكم المغرب العام.(٥٨).

ولم يكن هم السلطات الرومانية الا جمع الاموال الطائلة. وفرض الضرائب الباهضة. واستنزاف اقتصاديات البلاد بطرق شتى.(٥٩) والعمل على بث بذور الخلاف والفرقة بين زعماء القبائل البربرية. لاضعافها. ومنعها من التفكير في الثورة على سلطانهم.

ولم يستقر الحال للسلطات الغازية طويلاً. فقد شعر العرب البربر بضرورة تحرير المغرب من السيطرة الرومانية. وقاموا في سبيل تحقيق ذلك بثورات عديدة اشهرها ثورة يوغرتا.(٦٠) الذي دخل في حروب عنيفة مع القوات الغازية واستمرت ثورته اكثر من اربع سنوات (١١١ ق. م ـ ١٠٥ ق. م) ولم تتمكن السلطات الرومانية من اخماد ثورته الا بعد ان دبرت له مكيدة غادرة اشترك بها احد زعماء البربر. وتم قتله سنة ١٠٤ ق. م.

وثورة الزعيم البربري تاكفار يناس. وقد استمرت ثورته مدة ثمان سنوات (١٧ م ـ ٢٤ م وكانت ثورته بمثابة تعبير حقيقي لاولئك البربر الاحرار. فقد انتشرت الثورة في عموم بلاد المغرب. والتف حولها عدداً كبيراً من البربر وكان هدفهم تحرير المغرب من الغزاة الرومان.(٦١).

(٥٨) الناظوري، ١ / ٣٣٦، وينظر جوليان، ١ / ١٤٨ وما بعدها.
(٥٩) يقول جوليان، ١ / ٢٠٥، كانت بلاد البربر بالنسبة لروما مستعمرة للاستغلال لا للعمران.
(٦٠) جوليان، ١ / ١٥٥ وما بعدها.
(٦١) التفاصيل في كتاب المغرب الكبير، للناظوري، ١ / ٢٩٦ و ٢٩٧.
(٦٢) وعن تاكفاريناس، ينظر، جوليان، ١ / ١٧٨.

وثورة فيرموس سنة ٣٧٢م وكان قد نجح في تحقيق التحالف السياسي والحربي بين القبائل البربرية ، وكذلك استغل فرصة وجود مذاهب مسيحية جديدة معارضة للرومان ، ونجح فيرموس في التحالف معها ايضاً ... واتجه فيرموس بقواته نحو مدينة شرشال العاصمة الموريطانية ، وتمكن من احراز الانتصار على الرومان والاستيلاء عليها ، ازاء هذا التطور الحاسم في الكيان السياسي المغربي القديم ، اتجه الرومان الى استخدام وسائلهم التآمرية التي سبق لهم استخدامها ... فقاموا بتحريض اخيه جيلدون وتمنيته بكافة الوسائل وتشجيعه على خيانة اخيه فيرموس والايقاع به ، ولما تنبه الاخير الى ذلك فضل الانتحار سنة ٣٧٥ م وبذلك انتهت هذه الثورة البربرية التي وصلت الى درجة حاسمة في مقاومتها للنفوذ الروماني »[٦٣] وكان للثورات المتعاقبة اثرها في اضعاف كيان الغزاة في بلاد المغرب ، اضافة الى العوامل الاخرى التي انتابت امبراطوريتهم في القرن الخامس الميلادي .[٦٤] وانتهى الحال بدخول الوندال سنة ٤٢٩ م المغرب العربي وقضاءهم على نفوذ الرومان .

واذا كان المغرب قد تخلص من السيطرة الاستعمارية الرومانية ، فقد وقع هذه المرة تحت نير غزاة اخرين تميزوا بخشونتهم ، ووحشيتهم التي لا تحدها حدود فساءت الاحوال الاقتصادية وعمت الثورات عموم البلاد ، وافترق امر الوندال في زعمائهم ، وضعف سلطانهم كثيراً .[٦٥] حتى تمكن جستنيان من انفاذ حملة قادها بلزاريوس سنة ٥٣٣ م تمكنت من القضاء على الوندال في بلاد المغرب ليعيدوا سيرة الاستعمار الروماني وليفرضوا على سكانه من الضرائب والمغارم مالم يقر في قانون او شريعة .

ورغم سيطرة الروم البيزنطيين على الامور ، الا ان نفوذهم وسلطانهم لم يعم بلاد المغرب باكمله ، وانما شمل قسماً منه يبدا بحدود مصر الغربية « ويضم برقة وطرابلس ، وحوض مجرد « تونس الحالية » وجبال اوراس ، ثم ياخذ في الاقتراب من الساحل حتى ينتهي عند طنجة وسبتة ، اما في الجنوب فلم يتعدى نصف امتداد الطريقية الرومانية ، فكان اقصى اتساعه سهل مجرد وهضبة الاوراس ، ووقفت حدوده الجنوبية عند تبسة ، ومسكولا ، وتمجاد ، ولمبيزة ، وطبنه ، والمسيلة ، اما فيما عدا

---

٦٣) الناظوري ، ١ / ٣٢٧ و ٣٢٨ .
٦٤) سالم ، ٢ / ١ و ٢ .
٦٥) سالم ، ٢ / ٣٦ و ٣٧ .

ذلك فكانت حدوده ملاصقة للساحل لا تكاد تتعدى ارباض المواني من امثال تيفش ، وقيصرية ، وتانس ووهران » .[٦٦]

وكان المغرب في عهد الروم البيزنطيين ولاية مستقلة على راسها حاكم عام يتمتع بصلاحيات واسعة ، ويشرف على تطبيق القوانين والاحكام القضائية وجمع الضرائب وتوزيع المصاريف ، وله حق التصرف في الاموال الامبراطورية ويعاونه عدداً من المساعدين يرجعون بالنظر اليه وحده ، وكان له مستشارون ومختصون في الشؤون القضائية ، اضافة الى عشرة مكاتب تضم (١١٨) مائة وثمانية عشر موظفاً ، وتسع تشكيلات «او نقابات » للقيام ببعض الخدمات الادارية . والمالية .[٦٧]

وقسمت البلاد ادارياً الى سبع ولايات او مقاطعات ، منها ثلاثة قنصليات[٦٨] وهي :

- زوجيتانا « زغوان » ومركزها قرطاجنة ، وتشمل القسم الشمالي حتى تونس الحالية .
- بيزاسيوم « بيزاسين » وهو المزاق ، جنوبي تونس .
- طرابلس .

واربع مديريات هي :[٦٩]

نوميديا ، شرق قسنطينة .
موريطانيا الاولى ، ومركزها سطيف بالجزائر .
موريطانيا الثانية أو « القيصرية » وسط بلاد الجزائر ، ومركزها شرشال . وكانت تضم ايضاً موريطانية الطنجية .[٧٠]
سردينيا .

---

(٦٦) مؤنس ، ١٤ و ١٥
(٦٧) جوليان ، ١ / ٣٦١ .
(٦٨) تدار الولاية القنصلية من قبل حاكم عسكري ، اصله قائد من القواد يحمل لقب القنصل
(٦٩) تدار المديرية من قبل حاكم مدني ، يحمل لقب مدير .
(٧٠) مؤنس ، ١٥ ، وينظر جوليان ، ١ / ٣٦١ .

وارتبط التقسيم الاداري السالف الذكر ، بنظام دفاعي لتأمين الاراضي الخاصة للسلطة البيزنطية ، وكانت البلاد تنقسم من الناحية الدفاعية أو الحربية الى اربع مناطق عسكرية هي :

١ – طرابلس ، ومركزها لبدة .
٢ – بيزاسين أو المزاق ، ومركزها قفصة .
٣ – نوميديا ، ومركزها قسنطينة .
٤ – موريكانية ، ومركزها شرشال .(٦١)

وعلى كل قسم من هذه الاقسام الاربعة رئيس ، او دوق مهمته الدفاع عن المنطقة المحددة له ، ويرتبط هؤلاء الرؤساء أو الدوقيات بقائد أعلى يعين من قبل الامبراطور مباشرة ، ومقره مدينة قرطاجنة .(٦٢) ويتبع هذا القائد مساعدان عسكريان ، احداهما للمشاة ، والاخر للفرسان مع عدد من المستشارين العسكريين .(٦٣)

وكان سلطة الغزاة تعتمد في الدفاع عن المناطق التي احتلتها على عدد كبير من القلاع والتحصينات، وكانت هذه القلاع والتحصينات تعتبر بمثابة خط الحدود بين المناطق الخاضعة لهم ، والمناطق الصحراوية والجبلية الوعرة التي لم يتمكن الغزاة من اخضاعها لسلطاتهم .(٦٤)

وكانت معظم المدن الكبرى محاطة باسوار قوية ، ومحصنة تحصيناً قوياً ، كما هو الحال في مدينتي سطيف وتبسة ، والحقيقة ان هذه التحصينات تدل على ضعف سلطة الغزاة وليست على قوتهم ، كما تدل على مدى العسف والجور الذي مارسوه مع سكان المغرب العربي ، فالحكام البيزنطيون مدنيون وعسكريون لم يكن هدفهم الا امتصاص خيرات البلاد ، واصطناع الضرائب العديدة ، وفرضها على المزارعين والصناع والتجار ، وكان هؤلاء الحكام « ينهبون ارزاق الأهالي من غير حياء وكان الامبراطور يستأثر بجلب الاموال ، ولايقبل بذلك منافساً »(٧٠) وكثيراً ما

(٧١) سالم ، ٢ / ٨١ ، جوليان ، ١ / ٣٦٢ .
(٧٢) سالم ، ٢ / ٨١ ، جوليان ، ١ / ٣٦٢ .
(٧٣) جوليان ، ١ / ٣٦٢ .
(٧٤) مؤنس ، ١٨ و ١٩ ، وعن خط التحصينات ينظر ، سالم ، ٢ / ٨٢ ، جوليان ، ١ / ٣٦٢ .
(٧٥) جوليان ، ١ / ٣٦١ .

كان الجند يتعرضون الى نهب الممتلكات والاغارة على المزارع باسم الامبراطور ، ولم يرضخ اهل المغرب لهذا الامر طويلاً فدوت ثوراتهم تهدد كيان الغزاة وتأذن بتفكيكه ، فقام ايابداس ملك جبال اوراس بثورة استمرت سنوات عديدة .(٧٦)

وقاد كوترنياس زعيم قبائل المزاق « بيزاسين » ثورة اخرى قاومت سلطات الاحتلال لفترة طويلة .(٧٧) وتمكن انطالاس زعيم قبيلة لواتة من ابادة القوات البيزنطية وقتل القائد صولومون خليفة بلزاريوس سنة ٥٤٤ م في واقعة القصرين « سيليام »(٧٨) واوقع كاركاسان بالجيش البيزنطي خسائر فادحة بالقرب من ماربت سنة ٥٤٧ م ،(٧٩) وحارب جارمول السلطة الغازية مدة خمسة عشرة سنة وقتل خلالها ثلاثة من اشهر قوادهم وهم : ثيودور قتله سنة ٥٦٩ م على اثر معركة طاحنة ، وثيوكتيستوس سنة ٥٧٠ م واماباليس سنة ٥٧١ م .(٨٠)

وبدلاً من ان تحسن بيزنطة في سياستها اتجاه سكان المغرب ، عمدت ومنذ تولي موريس عرش بيزنطة (٥٨٢ – ٦٠٢ م) الى تنظيم الولايات البيزنطية في المغرب العربي باسلوب يحقق لها المزيد من السيطرة والضغط على سكان البلاد ففصل طرابلس عن افريقية وضمها الى مصر ، وكون من موريطانية السطيفية وموريطانية القيصرية ولاية واحدة سميت باسم ، موريطانية الاولى في حين ضمت موريطانية الثانية كل من سبتة وجزر البليار ، وما للبيزنطيين من املاك في اسبانيا ، وانشأوا ولاية جديدة الرديئية وكورسيكا .(٨١)

اما خط التحصينات فلا يكاد يشمل الا مدناً قليلة ، فقد كان يمر بتبسا وتمجاد وباغية ، وقسنطينة ، وصدفة ، وسبته .

(٧٦) سالم ، ٢ / ٥٧ ، جوليان ، ١ / ٣٦٧ .
(٧٧) وكان كوترنياس يحارب الروم البيزنطيين ويردد المقولة : « ان الله مع الذين يقاتلون اللصوص ، لاسترجاع اموالهم واراضيهم » ينظر احمد صفر ، ٢٩٩ .
(٧٨) سالم ، ٢ / ٦٢ ، احمد صفر ، ٢٩٦ .
(٧٩) سالم ، ٢ / ٦٦ .
(٨٠) سالم ، ٢ / ٧٠ ، جوليان ، ١ / ٣٧٧ .
(٨١) مؤنس ، ٣٢ ، جوليان ، ١ / ٣٧٧ .

وهذه التقسيمات في بلاد المغرب تعني تغليب الناحية العسكرية على الناحية المدنية ، وجعل الاولى فوق الثانية ، ومشرفة عليها ، فالى جانب الحاكم العام المقيم في مدينة قرطاجنة اقيم على الولاية حاكم عسكري عام (بطريق) له الاشراف التام على جميع مرافقها وموظفيها بما فيهم الحاكم المدني القديم واقيم ايضاً على الاقسام الادارية الجديدة للبلاد حكام عسكريون يحملون لقب دوق ،(٨٢) وعين على المدن قادة عسكريين يتولون قيادة حامياتها العسكرية .(٨٣)

وكان تحويل المغرب من ولاية الى منطقة عسكرية بداية النهاية لانهيار الاستعمار البيزنطي ، فقد استمرت الثورات على السلطة الحاكمة ، وظل الحكام العسكريون البطارقة يمارسون سياسة نهب البلاد ، ويفرضون الضرائب التي تزيد اقتصاديات البلاد ارهاقاً واصاب الخلل جميع مرافق الادارة المدنية والعسكرية على حد سواء ، فيها اضافة الى انتشار الرشوة في دواوين الحكومة ، وبيع المناصب لمن يدفع اكثر ، كان هناك انهيار شامل في القيم الخلقية واستهتار من قبل الحاكمين بمصالح البلاد والمواطنين « ولم تكن الكنيسة بعيدة عن مجال الفساد الذي استشرى في اجهزة الدولة ، فقد اصيبت هي الاخرى بالفساد وانتشرت السيمونية(٨٤) والمعاصي بين القساوسة »(٨٥)

وعمت هذه الخلافات المذهبية بين سكان البلاد والسلطات الحاكمة وجرت هذه الخلافات المذهبية الى سياسة من الاضطهاد الديني والى نتائج اصابت كيان الغزاة البيزنطين في الصميم .(٨٦) فبدأ القادة الكبار بالتمرد والانفصال عن السلطة المركزية مستغلين الظروف السيئة التي تمر بها السلطات الحاكمة بعد ان فقدت هيبتها وسلطاتها الفعلية ، ففي سنة ٦٤٦ م اعلن جريجوريوس « جرجير » خلع طاعة الامبراطور البيزنطي والاستقلال بالمغرب وتلقب بالامبراطور ، وضرب النقود باسمه ، ونقل مقره من قرطاجنة الى مدينة سبيطلة البعيدة عن الساحل كي يأمن جانب القوات البحرية البيزنطية ، واستمر جرجير في حكم البلاد حتى مقتله في واقعة سبيطلة على يد القائد العربي عبدالله بن ابي سرح سنة ٢٨ هـ ـ ٦٤٨ م كما سيأتي بيان ذلك بالتفصيل .

(٨٢) مؤنس ، ٣٢ .

(٨٣) ، مؤنس ، ٣٢ .

(٨٤) السيمونية ، متاجرة القساوسة بالادوات المقدسة ، وهي نسبة الى سيمون الساحر الذي اراد ان يشتري من القديس بطرس القدرة على عمل المعجزات .

(٨٥) سالم ، ٢ / ٧٣ ، وينظر ، جوليان ، ١ / ٣٧٨ .

(٨٦) سعد زغلول ، ١ / ٢٣ .

الباب الثاني

الفصل الاول

ـ حروب التحرير العربية

الفصل الثاني

ـ سياسة الولاة .

الفصل الثالث .

ـ انتشار الاسلام .

ـ الادارة العربية .

والهدف الثاني، ستراتيجي لتحرير كامل المغرب العربي من المستعمرين الروم.

ورغم ما يشير اليه بعض المؤرخين من ان عمرو بن العاص ارسل عقبة بن نافع الفهري على راس حملة من الفرسان تمكنت من تحرير برقة وزويلة.[٤] فيبدو ان الاشارة هنا الى الحملات الاستطلاعية التي قادها عقبة بن نافع باتجاه هذه المناطق وجاس خلالها مواطن قبائل لواتة وغيرها بحيث كان تقريره الذي رفع الى القائد الاعلى مطمئناً ومشجعاً للتوغل غرباً.[٥]

لذا قاد عمرو بن العاص القوات العربية سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م[٦] وزحف نحو مدينة برقة التي كانت قاعدة لاقليم واسع يحمل هذا الاسم، او يسمى بتسميته القديمة اقليم انطابلس، فدخلها دون صعوبة تذكر، فصالح اهلها على مبلغ من المال مقداره ثلاثة عشر الف دينار،[٨] كانوا يبعثون بها الى والي مصر «من غير ان يأتيهم بحاث او مستحث.»[٩]

ومن برقة تجهز عمرو بن العاص لتحرير مدينة طرابلس، وتطلبت الضرورة العسكرية تجهيز قوتين،[١٠] قوة رئيسية اتخذت الطريق الساحلي وهدفها مدينة طرابلس وما يليها من المدن الساحلية، وقوة فرعية وجهتها المناطق الصحراوية الجنوبية انيطت قيادتها الى عقبة بن نافع الفهري[١١]، لتأمين المناطق الداخلية حتى زويلة، ولمنعها من القيام باي عمل من شأنه ان يعيق تقدم القوات الساحلية او يهدد خطوط مواصلاتها.

---

(٤) ابن عذاري، ١ / ٢ طبعة دوري، نقلاً عنه، فتح العرب المغرب، حسين مؤنس، ٥٩، ابن ابي دينار، المؤنس، ٢٩.
والنص في الطبعة الثانية من كتاب ابن عذاري، ١ / ٨ «الى لوبية والفريقية فافتتحها»
وينظر، سعد زغلول، ١ / ١٣٥ والهامش رقم (١٩).

(٥) مؤنس، ٥٣ و ٥٤.

(٦) وقيل في سنة ٢٢ هـ.

(٧) ابن عبد الحكم، ٢٢٩، البلاذري، فتوح البلدان، ٢٢٥، مطبعة السعادة، ابن الاثير، الكامل، ٣ / ٣٦، طبعة دار المعارف، ابن عذاري، ١ / ٨.

(٨) ابن عبد الحكم، ٢٢٩، البلاذري، ٢٢٥، ابن الاثير، ٣ / ٣٦.

(٩) البلاذري، ٢٣٦، وينظر، ابن عبد الحكم، ٢٣٠.

(١٠) مؤنس، ٥٧.

(١١) ابن عبد الحكم، ٢٣٠، وينظر، سعد زغلول، ١ / ١٣٣، سالم، ٢ / ١٤٤.

وهكذا سارت العمليات العسكرية في المناطق الساحلية والمناطق الجنوبية متزامنة مع بعضها، ففي الوقت الذي تمكن به عقبة من تحرير مناطق فزان وزويلة في الجنوب، كان عمرو بن العاص قد بدأ بتحرير اولى مدن اقليم طرابلس فبدأ بمدينة اجدابية[١٢]، ثم مدينة سرت، ثم لبدة، واشرف على مدينة طرابلس[١٣] وكانت مدينة محصنة ومسورة من جهاتها الثلاث بسور منيع[١٤]، فيما عدا الجهة الشمالية المطلة على البحر المتوسط[١٥]. ولما لم يتمكن ابن العاص من دخولها فقد اكتفى بمحاصرتها مدة دون طال، حتى اكتشفت قوة من الفرسان

كانت تستطلع السور من الجهة الغربية من اكتشاف فتحة تسيبها مياه الجزر، يسمح لدخول القوات منها،[١٦] ومن هذا المكان تسللت القوات العربية واجتاحت تحصينات الروم وفاجئتها بهجوم صاعق أواخر سنة ٢٢ هـ / ٦٤٣ م فسيطرت على مقاليد الامور في المدينة بعد أن ولت حامية الروم البيزنطية بما تيسر لها من السفن.[١٧]

وكان ابن العاص قد ارسل بسر بن ابي ارطأة اثناء حصاره مدينة طرابلس على راس قوة من الفرسان اخضعت جبل نفوسة،[١٨] وتقدمت نحو ودان فأمن اهلها

---

(١٢) صالحها عمرو بن العاص على مبلغ مقدار خمسة الاف دينار، ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٤ / ١٠.

(١٣) في فتوح مصر والمغرب، لابن عبد الحكم، ٢٣٠ فنزل القبة التي على الشرف من شرقيها فحاصرها شهراً لا يقدر منهم على شيء، وعن مدلول هذا المكان، ينظر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ٤٨. سعد زغلول، ١ / ١٣٧، الهامش رقم ٢٩.

(١٤) الاستبصار، ١١٠، وينظر، الزاوي، ٤٩.

(١٥) ابن عبد الحكم، ٢٣١، ابن الاثير، ٣ / ٣٥.

(١٦) ابن عبد الحكم، ٢٣١، ابن الاثير، ٣ / ٣٥، وهما متفقان على رواية مفادها، ان رجلاً من بين بني مدلج خرج مع سبعة نفر من اصحابه للصيد وسلكوا غرب المدينة فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فأخذوا على جانب البحر فرأى المدلجي واصحابه مسلكاً بين البحر والبلد، فدخلوا منه وكبروا، فلم يكن للروم ملجأ الا سفنهم، وينظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح فأقبل بجيشه حتى دخل المدينة ـ ٥.

(١٧) ابن عبد الحكم، ٢٣١، البلاذري، ٢٣٧، ابن عذاري، ١ / ٨، ابن الاثير، ٣ / ٣٦، وينظر احمد الشالب، المنهل العذب، ٢٢.

(١٨) ابن ابي دينار، ٣٦.

سنة ٢٣ هـ / ٦٤٣ م[١٩]. وكان الغرض من هذه الحملة القضاء على اي محاولة من جانب قبائل نفوسة لنجدة اهل طرابلس. وفي نفس الوقت لتأمين تحريرهم للساحل. على نحو ما فعل عمرو عند دخوله برقة. اذ ضمن خضوع زويلة وفزان للقوات العربية خشية ان يقوم سكانها باعمال مضادة قد تسبب للقوات الكثير من العرقلة والمتاعب.

واعقب ابن العاص تحرير طرابلس بدخول مدينة سبرت (صبرة) وتحريرها من فلول الروم البيزنطية.[٢٠]

وهكذا أنجز عمرو بن العاص تحرير المناطق الساحلية حتى مدينة سبرت (صبرة) والمناطق الصحراوية الجنوبية فنزان وزويلة وودان. ولما كانت حروب التحرير العربية في بلاد مصر والمغرب، تسير حسب خطه مركزية متفق عليها ومخطط لها منذ البداية. فقد استأذن عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في التقدم نحو ولاية افريقية وكتب اليه « ان الله فتح علينا طرابلس. وليس بيننا وبين افريقية الا تسعة أيام فان راى أمير المومنين ان يغزوها ويفتحها الله على يده فعل[٢١] ». ويضيف ابن عذاري نصاً غاية في الاهمية. أوقف من خلاله عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب (رض) على احوال البلاد بقوله: « وملوك كثير. وأهلها في عددعظيم. واكثر ركوبهم الخيل[٢٢] »

واخبار ابن العاص باحوال البلاد بعد اقليم طرابلس. وما أحيط به الخليفة من معلومات اخرى عن طبيعة البلاد السياسية والاجتماعية دفعت دار الخلافة الى التريث. وتأجيل التقدم فيما ما وراء اقليم طرابلس والاكتفاء بما حققته القوات

---

(١٩) الزاوي، ٦١، مؤنس، ٦٥، وينظر سعد زغلول، ١٤١ والهامش رقم (٤٥).

(٢٠) كانت مدينة (صبرة) مدينة حصينة لا تقل حصانتها عن حصانة مدينة طرابلس ولكي يفاجأ ابن العاص حاميتها فقد جرد خيلاً كثيفة بعد تحريره طرابلس مباشرة وامرهم بسرعة السير. فصبحت خيله مدينة سبرت وقد غفلوا وفتحوا ابواب مدينتهم. فدخلتها القوات العربية على حين غفلة من حاميتها وتمكنت من تطهيرها من فلول الروم البيزنطين. ينظر ابن عبد الحكم، ٢٣١؛ ابن الأثير، ٢ / ٣٦؛ أحمد الناائب، ٢٢.

(٢١) ابن عبد الحكم، ٢٣٣؛ وينظر البلاذري، ٢٢٧.

(٢٢) البيان المغرب، ١ / ٨.

العربية من تأمين حدود مصر الغربية[٢٣].

ولاخلاف فان عمرو بن العاص لا يمكن ان يتقدم الى قلب المغرب العربي والروم البيزنطيين شوكة في ظهره[٢٤]. اضافة الى ان تحرير المغرب العربي يحتاج الى امدادات متواصلة، وجهود كثيفة. وقاعدة أمينة تحمي تلك الامدادات وتؤمن لها احتياجاتها المتعددة، وهذا ما لم يتوفر خلال هذه الفترة. فمصر لم تكن قد استوثقت امورها تماماً للقوات العربية. اذ لا زال خطر الروم البيزنطيين قائماً محاولين استعادة نفوذهم الغابر[٢٥]. لاجل هذه الاسباب وغيرها. عاد عمرو بن العاص الى مصر ليشرف على تنظيم ادارتها مما يجعلها جديرة بقيادة حروب التحرير العربية في بلاد المغرب. بعد ان خلف في برقة حامية عسكرية على راسها عقبة بن نافع الفهري[٢٦].

وفي سنة ٢٣ هـ / ٦٤٣ م توفي الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وتولى الخلافة من بعده عثمان بن عفان (رض) والذي يفهم من الروايات التاريخية ان عمرو بن العاص طلب من الخليفة عثمان بن عفان (رض) تنحيه عبد الله بن سعد بن ابي سرح عن امارة الصعيد دون سبب معقول[٢٧]. وانتهى الحوار بينهما الى إعفاد عمرو بن العاص من منصبه، وتعيين عبد الله بن سعد بن ابي سرح والياً على مصر سنة ٢٥ هـ / ٩٤٥ م[٢٨].

---

(٢٣) وكان رد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) كما دونه ابن عبد الحكم، ٢٣٢ « لا. انها ليست افريقية. ولكنها المفرقة. غادرة مغدور بها. لا يغزوها احد ما بقيت. » وفي رواية اخرى، « افريقية المفرقة المفرقة ـ ثلاثا مرات ـ لا اوجه اليها احداً ما ثلت عيني الماء. » وروى البلاذري، كتب عمر بن الخطاب (رض) ينهاة عنها ويقول، « ما هي بافريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها ـ » فتوح، ٢٣٧.
وهذه الروايات وغيرها مصطنعه لا اساس لها من الصحة وضعها المتاخرون من الرواة نتيجة الصعوبات التي واجهها العرب في تحرير المغرب العربي على امتداد اكثر من سبعين سنة.

(٢٤) سعد زغلول، ١ / ١٤٥

(٢٥) ابن عبد الحكم، ٢٣٥ ـ ٢٣٧، وينظر، زغلول، ١ / ١٤٣.

(٢٦) سالم، ٢ / ١٥٢.

(٢٧) ينظر ابن عبد الحكم، ٢٣٣.

(٢٨) وليل سنة ٢٤ هـ.

واتبع ابن ابي سرح في البداية سياسة تقوم في الاساس على بعث السرايا وباتجاهات مختلفة[٣٦]. وكانت تلك السرايا تجوب اطراف افريقية وتعود الى قاعدة انطلاقها في مدينة برقة . ولم يكن هدفها الغنائم والسبي كما يفهم من بعض الروايات . وانما كان هدفها الحقيقي الاستطلاع ، وجس مواطن العدو ، وتتبع اخباره ، ومعرفة قواه ، وما يملكه من عدة وعدد ، وعلى نتائج هذه الحملات الاستطلاعية . كان يقدر ما يمكن ان تلقاه القوات العربية من المقاومة ، وعلى اساسها كانت تعد خطة الهجوم[٣٧].

ونظراً للتقارير المشجعة التي انتهت اليها تلك الحملات ، قرر ابن ابي سرح استشارة الخليفة عثمان بن عفان (رض) لاستئناف حروب التحرير في المغرب العربي وطرد المستعمرين الروم البيزنطيين . وجاءت موافقة دار الخلافة مع العمل على اعداد جيش كبير شارك فيه مشاهير رجال العرب .والقبائل العربية المحيطة بالمدينة والحجاز ، وتجمعت هذه القوات ومن انظم اليها في مصر[٣٨]، حتى بلغت العشرين ألف مقاتل[٣٩]. واطلق على هذا الجيش اسم جيش العبادلة او « غزوة العبادلة »[٤٠] نسبة الى اسماء كبار ابناء الصحابة المشاركين في هذا الجيش[٤١].

خرج جيش العبادلة من مصر سنة ٢٧ هـ / ٦٤٧ م وعلى قيادة عبد الله بن ابي سرح ، وكان هدفه مدينة سبيطلة عاصمة الروم البيزنطين[٤٢]. وحاكمهم يؤمئذ جرجير « جريجوريوس » الذي كان قد خلع طاعة الامبراطور هرقل واستقل بحكم المغرب العربي كما اشرنا في الفصول السابقة .

---

(٢٩) ابن الاثير ، ٣ / ٦٢ .

(٣٠) سعد زغلول ، ١ / ١٢٤ .

(٣١) ينظر ، عبدالواحد ذنون ، الفتح والاستقرار ، ١١٣

(٣٢) ينظر ، الفتح والاستقرار ، ١١٣ .

(٣٣) ابن عبدالحكم ، ٢٤٧ ، المالكي ، ١ / ١٠ ، الدباغ ، ١ / ٣٣ ، ابن عذاري ، ١ / ٩ .

(٣٤) ابن خياط ، التاريخ ، ١ / ١٣٤ ، المالكي ، ١ / ١٠ ، وينظر ، مؤنس ، ٨١ .

(٣٥) ومنهم على سبيل المثال ، عبدالله بن عمر بن الخطاب ، عبدالله بن الزبير وعبدالله بن العباس ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وعبدالله بن زيد بن الخطاب ، وعبدالله بن ابي بكر ، وعبدالله بن العباس . اضافة الى قائد الحملة عبدالله بن ابي سرح .

(٣٦) وعن اتخاذ جرجير مدينة سبيطلة عاصمة لمناطق نفوذه ، ينظر ، مؤنس ، ٥٠ ، سالم ، ٢ / ٧٨ .

وعندما وصلت القوات العربية مدينة برقة انضمت اليها حاميتها وكانت تحت قيادة عقبة بن نافع الفهري ، ومن هذه المدينة (القاعدة) واصلت القوات زحفها تقدمها بعض سرايا الفرسان لاستكشاف المناطق المتقدمة ، ولتأمين خطوط مواصلات الحملة[٤٣]. فتركت مدينة طرابلس وقابس لحالها[٤٤]، وفي منطقة قمونية[٤٥] عسكر الجيش العربي ، ودارت المفاوضات بين القائد ابن ابي سرح وجرجير المتغلب على افريقية والذي رفض الاسلام او الخضوع لحكم الجزية معتداً بقواته الذي بلغ تعداده المائة والعشرين الف مقاتل[٤٦] وبدأت المناوشات بين الطرفين سنة ٢٨ هـ / ٦٤٨ م في مكان اطلق عليه اسم عقوبة[٤٧]. واستمرت المناوشات أياماً حتى تمكن عبدالله بن ابي سرح من اكتشاف نقاط الضعف في قوات جرجير فعدل في خططه العسكرية[٤٨]، وقام بهجوم شديد اخترق صفوف القوات الرومية ، واجبرها على التراجع بدون نظام ، وكان من نتيجة ذلك مقتل جرجير ومعظم قادته ، وانهزم من تبقى منهم في اتجاهات مختلفة[٤٩]. وتمكنت قوة من الفرسان من صد المنهزمين ومنعهم من دخول مدينة سبيطلة والاعتصام بها . وبذلك جردت المدينة الحصينة من المدافعين عنها وسقطت بسهولة في معركة ثانية[٥٠].

---

(٣٧) الدباغ ، ١ / ٣٤ ، ابن الاثير ، ٣ / ٦٤ ، ابن عذاري ، ١ / ٩ .

(٣٨) ينظر ، حسين مؤنس ، ٨٤ و ٨٥ .

(٣٩) المنطقة التي ستقوم فيها القيروان بعد ذلك .

(٤٠) ابن الاثير ، ٣ / ٨٩ ، ابن عذاري ، ١ / ١٠ ، ابن خلدون ، ٦ / ١٠٧ ، وقال الدباغ في معالم الايمان ، ١ / ٣٥ ، كانت لواته في مائة الف مقاتل .

(٤١) البلاذري ، ٢٢٨ .

(٤٢) تشير المصادر التاريخية الى ان القتال كان يبدا في الصباح ويتوقف ظهراً فيعود كل طرف الى معسكره فلا يستأنفون الا في صباح اليوم التالي ، وهكذا استمر الحال اياماً ، حتى عمد ابن ابي سرح الى خطه تقوم على تقسيم القوات الى قسمين ، يشترك قسم منها في القتال على العادة ، وينتظر القسم الآخر في شكل كمين حتى اذا ما انتهى القتال عند الظهر وقد تعب الروم ، يبدا القسم الكامن بهجوم شديد على الروم وهكذا نجحت هذه الخطة فانهزم الروم .

(٤٣) ابن عبدالحكم ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، البلاذري ، ٢٢٨ ، المالكي ، ١ / ١٠ ، الدباغ ، ١ / ٣٤ و ٣٥ ، ابن عذاري ، ١ / ١٠ و ١١ .

(٤٤) سعد زغلول ، ١ / ١٥٨ ، سالم ، ٢ / ١٢٦ .

وسقوط مدينة سبيطلة يعني اول مايعني انهيار الحكم البيزنطي في معظم المناطق التي كانت تحت نفوذ جرجير فقد سقطت مدناً وقلاعاً رومية مهمة ، وبلغت القوات العربية قفصة ثم جاءت الى مرماجنة . كما بلغت حصن الجم وضيقت عليه الحصار حتى دخلته صلحاً[٤٥] ، وكان وقع هذه الانتصارات شديداً على الغزاة الروم ، « ورعبوا رعباً شديداً فلجأوا الى الحصون والمعاقل . »[٤٦] وأذعن للطاعة رؤساء المدن الافريقية الأخرى ، مقابل عهود قطعوها ، ومبالغ كبيرة من المال دفعوها ، بلغت الثلاثمائة قنطار من الذهب .[٤٧]

وبعد هذه الحملة التي استغرقت فترة تقارب الخمسة عشر شهراً ،[٤٨] قرر ابن ابي سرح العودة الى مصر ، ويبدو ان تحركات القوات الرومية في المناطق الشمالية ، والمدن الحصينة ،[٤٩] ثم طول الفترة التي قضاها في هذه الحملة والانهاك الذي اصاب القوات ، وادراك ابن ابي سرح ان تحرير البلاد لايمكن ان يتم من خلال الانتصار في معركة واحدة ، فلا زالت أمامه الكثير من العقبات وعدداً من الحصون والمعاقل ، يحتاج تحريرها الى المزيد من الامدادات ، هذه الاسباب وغيرها ،[٥٠] املت على ابن أبي سرح ضرورة العودة الى مصر ، والاكتفاء بهذه الضربة التي اصابت نفوذ الروم البيزنطيين في الصميم .

وقد يؤخذ على ابن ابي سرح مغادرته المغرب العربي دون ان يتخذ فيها قاعدة متقدمة للقوات العربية ، او يترك حاميات في المناطق والمدن المحررة ، أو في تلك التي دخلت في أمانة ،[٥١] ومع كل ذلك فقد كانت هذه الحملة من الخملات التي اذلت الروم البيزنطيين ،[٥٢] ونقلت حروب التحرير العربية الى آفاق جديدة

---

(٤٥) " الكبي ، ١ / ١٧ ، الدباغ ، ١ / ٣٥ ، ابن الأثير ، ٣ / ٩١ .

(٤٦) ابن عذاري ، ١ / ١٢ .

(٤٧) البلاذري ، ٢٢٨ ، ابن عذاري ، ١ / ١٢ ، الدباغ ، ١ / ٣٤ و ٣٥ و ٤٢ ولة في ذلك روايات أخرى . ابن الأثير ، ٣ / ٩١ .

(٤٨) ابن الأثير ، ٣ / ٩١ ، الدباغ ، ١ / ٤٢ ، سنة وشهرين ، .

(٤٩) الدباغ ، ١ / ٤٢ .

(٥٠) لمؤنس في كتابه ، فتح العرب للمغرب ، ٩٨ ـ ١٠١ ، اراء أخرى في اسباب عودة عبدالله بن ابي سرح الى مصر .

(٥١) ابن عبدالحكم ، ٢٤٦ و٢٤٧ .

(٥٢) ابن عذاري ، ١ / ١٢ .

آخرى ، بعد أن دخل الاسلام عدد من زعماء القبائل البربرية ، ومنهم مثلاً ، وزمان أو وزمار بن صقلاب أمير قبائل مغراوة وسائر زناتة الذي اسر في أحدى المعارك وقبض عليه وارسل الى الخليفة عثمان بن عفان (رض) فأسلم على يده وأمره على قومه للجهاد في سبيل نشر الاسلام ، وتحرير بلاد المغرب .[٥٣]

ورغم مايشير اليه ابن عذاري نقلا عن عريب بن سعد من كون ابن ابي سرح قد عاد الى افريقية سنة ٣٣ هـ / ٦٥٣ م بهدف تأديب الخارجين عن العهد والطاعة ،[٥٤] فيبدو أن الاشارة هنا الى مجموع الحملات والسرايا الصغيرة التي كانت تنطلق بأمره من قاعدة برقة باتجاه افريقية لضرب بؤر المقاومة أولاً ولتفتيت تجمعات الاعداء ثانياً ، ومثل هذه الحملات كانت ضرورية خلال هذه الفترة .

وكانت حملة ذات الصواري البحرية سنة ٣٤ هـ / ٦٥٤ م آخر الحملات الكبيرة[٥٥] التي قادها عبدالله بن ابي سرح ضد اسطول الروم البيزنطين في مياه البحر المتوسط .[٥٦] فقد تمكن الاسطول العربي من تدمير القوات الرومية بقيادة قسطنطين بن هرقل قبالة ناحية زوارة[٥٧] مابين ساحل طرابلس وتونس .[٥٨] وكانت حملة الروم هذه اولى الحملات البحرية الضخمة التي يهزها البيزنطيين واستعدوا لها ، محاولة منهم في استعادة ما فقدوه من مناطق نفوذهم . ولانجد بعد القضاء على هذه الحملة أي نشاط واسع للقوات العربية البرية منها والبحرية . ولاشك ان لأحداث مركز الخلافة في الحجاز ، وما ترتب على ذلك من تغييرات لفت السلطة المركزية ، وشغلتها لحين استقرار الاوضاع للدولة الأموية بعد تولية الخليفة معاوية بن ابي سفيان سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م ، فأعاد عمرو بن العاص الى ولاية مصر واستمر والياً عليها حتى وفاته سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣ م ،[٥٩] والمؤرخون لايذكرون لأبن

---

(٥٣) ابن خلدون ، ٦ / ١٠٧ .

(٥٤) ابن عذاري ، ١ / ١٤ .

(٥٥) كانت عدد مراكب العرب قد تجاوزت المائتي مركب كما يقول ابن عبد الحكم ، ٢٥٦ .

(٥٦) ابن عبدالحكم ، ٢٥٥ وما بعدها ، الكندي ، الولاة والقضاة ، طبعة بيروت ، ١٩٠٨ م ، ص ٢٠ .

(٥٧) هذا رأي الاستاذ حسن ابراهيم حسن في كتابة تاريخ الاسلام ، نقله سعد زغلول في كتابه ، تأريخ المغرب العربي ، ١ / ١٦٢ .

(٥٨) سعد زغلول ، ١ / ١٦٣ و ١٦٤ .

(٥٩) الاصابة ، ٢ / ٢ ، ابن عذاري ، ١ / ٥ .

العاص نشاطاً مميزاً خلال ولايته الثانية ، فيما عدا اشاراتهم لسرايا الفرسان التي كانت تتوغل فيما وراء مدينة برقة والمناطق الصحراوية ثم تعود سريعاً الى قاعدة انطلاقها .(٦٠)

وبعد وفاة عمرو بن العاص ، فصلت ولاية المغرب عن مصر .(٦١) وأصبحت ولاية مرتبطة بمركز الخلافة مباشرة ، وتولى امرها وقيادة جيوشها معاوية بن حديج السكوني ، واوكلت اليه مهمة استئناف العمليات العسكرية ضد معاقل المستعمرين الروم البيزنطيين .

وقد توافرت لابن حديج ظروفاً مناسبة مكنته من تجهيز قواته وقيادتها في سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م مستغلاً الاوضاع السيئة التي احاطت بالغزاة الروم في بلاد المغرب فمن المعروف ان رؤساء افريقية صالحوا عبدالله بن ابي سرح على مبلغ مقداره ثلاثمائة قنطار من الذهب . ووقع هذا الاتفاق مع ابن ابي سرح احد بطارقة الروم في افريقية ، تدعوه المصادر العربية بأسم ، حباحبة او جناحه « جناديوس »(٦٢) وما ان وصلت أخبار هذا الاتفاق مسامع الامبراطور البيزنطي قسطنطين الثاني حتى بادر بأرسال البطريق اوليمة « اوليمبوس » وأمره ان يستخلص من اهل افريقية مبلغاً يعادل المبلغ الذي دفع لأبن أبي سرح .(٦٣) وعندما رفض السكان .(٦٤) وقع النزاع بينهم وبين حاكم أفريقية انتهى بطرده من البلاد . ولكن الامور لم تستقم

لحباحبة (جناديوس) فقد قام ضده قائداً من القواد اطلقت عليه المصادر اسم ، « الاطريون .(٦٥) . فلجأ حباحبة الى العرب ووصل الى الشام ولقى الخليفة معاوية ابن ابي سفيان . فوافاه بشرح وافٍ عن الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية

---

(٦٠) عن هذه السرايا التي كانت تجوب اطراف افريقية خلال ولايتي عمرو بن العاص الثانية ينظر ، الكندي ، ٣٢ ومابعدها ، ابن عذاري ، ١ / ١٥ ، ابن خلدون ٣ / ١٠ ، السلاوي ، ١ / ٧٨ .

(٦١) اقر الخليفة معاوية بن ابي سفيان على ولاية مصر ، عقبة بن عامر الجهني .

(٦٢) ابن عذاري ، ١ / ١٧ ، سعد زغلول ، ١ / ١٦٩ .

(٦٣) ابن عذاري ، ١ / ١٧ .

(٦٤) ابن عذاري ، ١ / ١٧ .

التي كانت تعيشها افريقية تحت ظل الحكم البيزنطي وسهل له امر تحرير بلاد المغرب واستخلاصه من الروم البيزنطين .(٦٦)

والحقيقة ان احوال البلاد لم تكن بغائبة عن نظر القيادة في مصر او مركز السلطة في الشام فقد كانت تقارير الحملات الاستطلاعية تشير الى هذا المعنى . فابن الاثير يلخص احوال البلاد بقوله ، « كانت ناراً تضطرم »(٦٧)

وابن عذاري يقول ، « دخل معاوية بن حديج افريقية ، وكانت حرباً كلها(٦٨) » .

خرج معاوية بن حديج سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م(٦٩) على رأس جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل(٧٠) اضافة الى حامية برقة(٧١) سالكاً الطريق الساحلي مروراً بمدينة طرابلس ، والتي لا تشير النصوص عن عمليات عسكرية ضدها(٧٢) وانتهى بقواته الى الموضع الذي نزله عبدالله بن ابي سرح سنة ٢٨ هـ في منطقة قمونية .(٧٣) وفي هذا المكان وقعت معركة بين القوات العربية وقوات نقفور البيزنطية التي كانت في ثلاثين الف مقاتل اسفرت عن انهزامهم واعتصامهم بمدينة سوسة .(٧٤) وبعد هذا الانتصار تقدم معاوية بن حديج شمالاً فعسكر في موضع مرتفع يقال له القرن او جبل القرن .(٧٥) والذي سمي فيما بعد بجبل ممطور .(٧٦)

ومن معسكر القرن بدأ ابن حديج بتجهيز قوتين ضد الروم البيزنطين .

---

(٦٥) حباحبة ، الكامل ، ٣ / ٩٢ .

(٦٦) ابن الاثير ، ٣ / ٩٢ ، ابن عذاري ، ١ / ١٦ . ورغم اختلاف المصادر التاريخية في مصير حباحبة ، فعلى الارجح انه مات بالاسكندرية قبل تحرك القوات العربية لتحرير المغرب العربي .

(٦٧) الكامل ، ٣ / ٩٢ .

(٦٨) البيان المغرب ، ١ / ١٦ ، وينظر ، الدباغ ، ١ / ٤٥

(٦٩) الدباغ ، ١ / ٤٢ ، ابن عذاري ، ١ / ١٦ ويجعل ابن عبد الحكم حملة معاوية ابن حديج سنة ٢٤ هـ وللمؤرخين في ذلك اقوال اخرى . ينظر سالم ، ٣ / ١٧٨ وما بعدها ، سعد زغلول ، ١ / ١٦٦ وما بعدها .

(٧٠) ابن عذاري ، ١ / ١٦

(٧١) سعد زغلول ، ١ / ١٧٠

(٧٢) سعد زغلول ، ١ / ١٧٠

(٧٣) ابن عبد الحكم ، ٢٦٠ ، الدباغ ، ١ / ٤٢ .

(٧٤) ابن عذاري ، ١ / ١٦ ، حسين مؤنس ، ١٢١ ، سالم ، ٣ / ١٨٢ .

(٧٥) ابن عبد الحكم ، ٢٦١ ، الدباغ ، ١ / ٤٢ .

(٧٦) ينظر ، الدباغ ، ١ / ٤٢ .

الاولى : كانت بقيادة عبدالله بن الزبير[٧٧] وهدفها مدينة سوسة حيث اعتصمت القوات البيزنطية بقيادة نقفور .

والثانية : بقيادة عبدالملك بن مروان لتحرير حصن جلولاء .[٧٨]

وحملة ثالثة : قادها عقبة بن نافع الفهري ، للتوغل جنوباً في المناطق الصحراوية وقد تمكن عبدالله بن الزبير من اجلاء الغزاة الروم البيزنطيين الذين ولوا هاربين بسفنهم شطر جُزر البحر المتوسط ، ودخل مدينة سوسة محرراً .[٧٩]

كما تمكن عبد الملك بن مروان بعد حصار شديد من تحرير حصن جلولاء وتطهيره من جيوب المقاومة .[٨٠]

ولاحقت القوات العربية الروم البيزنطين في البر والبحر ، فدخلت مدينة بنزرت وقضت على عناصر المقاومة فيها .[٨١]

وابحرت قوة بحرية الى جزيرة صقلية سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م[٨٢] قادها عبدالله بن قيس بن مخلد فتمكنت من تحقيقه اهدافها وعادت سالمة .[٨٣]

وقاد رويفع بن ثابت الانصاري حملة بحرية اخرى في سنة ٣٧ هـ / ٦٦٧ م تمكنت من تحرير جزيرة جربة .[٨٤]

واما الحملة الصحراوية ، فقد كانت بقيادة عقبة بن نافع الفهري ، ورغم اختلاف المؤرخين الواضح في امر واهداف هذه الحملة .[٨٥] فالراجح انها كانت متزامنة مع حملات معاوية بن حديج في المناطق الساحلية ، ونافذة بأمره ، سيراً

---

(٧٧) شك سعد زغلول ، ١ / ١٧٠ في اشتراك عبدالله بن الزبير بحملة معاوية بن حديج وبالتالي قيادته حملة سوسة .

(٧٨) ابن عبد الحكم ، ٢٦١ ؛ ابن عذاري ، ١ / ١٦ .

(٧٩) ابن عذاري ، ١ / ١٦ ؛ وينظر ، سالم ، ١ / ١٨٣ .

(٨٠) ابن عبدالحكم ، ٢٦١ ؛ ابن عذاري ، ١ / ١٦ .

(٨١) البكري ، ٨٥ ، الدباغ ، ١ / ٤٥ .

(٨٢) كانت في مالتي مركب كما يقول الدباغ ، ١ / ٤٥ ؛ وتاريخها عنده سنة ٤٥ هـ أو سنة ٥١ هـ .

(٨٣) البلاذري ، ١ / ٢٣٧ ، ابن عذاري ، ١ / ١٦ و ١٨ .

(٨٤) المالكي ، ٥٣ ؛ ابو المحاسن ، ١ / ١٣٢ ؛ وينظر ، سالم ، ٢ / ١٨٧ .

(٨٥) عن الروايات التاريخية واختلاف الاراء في حملة عقبة الصحراوية ينظر حسين مؤنس ، ١٣٨ ، سعد زغلول ، ١ / ١٧٨ ومابعدها .

على خطة القادة العرب في تأمين المناطق الصحراوية والساحلية معاً تحسباً لاي خطر قد تتعرض له القوات الرئيسية من هذه المناطق .[٨٦]

وكانت الحملة الصحراوية مكونة من اربعمائة فارس ،[٨٧] بينهم قائدان خبيران بحرب الصحراء هما ، بسر بن ابي ارطاة ، وشريك بن سمي المرادي ،[٨٨] وخرجت من قاعدة مغمداس[٨٩] سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م مخترقة بلاد هوارة باتجاه ودان ،[٩٠] حيث اعاد اخضاع تلك المناطق بعد ان كانت قد انقلبت ونقضتها عهدها مع العرب ،[٩١] ثم تقدم نحو واحات فزان ودخل قاعدتها جرمة ،[٩٢] ثم زحف نحو اقليم كوار وقاعدته مدينة خاوار فدخل عنوة بعد حصار شديد ،[٩٣] وهكذا انهى عقبة بن نافع حملته في الصحراوات الجنوبية ، وعاد بعد فترة تقارب الخمسة أشهر الى قاعدته في مغمداس .

وكان من ابرز نتائج هذه الحملة ، توطيد السلام العربي ونشر الاسلام بين القبائل المنطقة .[٩٤]

وبعد ان اراح عقبة فترة في قاعدة مغمداس ، قاد حملة ثانية اخترقت ارض مزاتة فدخل معظم واحاتها ، ثم زحف نحو قفصة فاعادها الى الولاء والطاعة ودخل اقليم قسطيلية ،[٩٥] وعاد بعدها الى معسكر القرن حيث يرابط معاوية بن حديج .

---

(٨٦) سعد زغلول ، ١ / ١٧٧ و ١٧٨ .

(٨٧) ابن عبدالحكم ، ٢٦٢ والنص ، « اربعمائة فارس واربعمائة بعير ، ولمائمائة قربة (ماء) » .

(٨٨) سعد زغلول ، ١ / ١٧٩ .

(٨٩) غرب سرت .

(٩٠) ابن عبد الحكم ، ٢٦٢ ، وينظر ، سعد زغلول ، ١٧٩ .

(٩١) ابن عبد الحكم ، ٢٦٢ .

(٩٢) ابن عبد الحكم ، ٢٦٢ و ٢٦٤ ، البكري ، ١٣ .

(٩٣) ابن عبدالحكم ، ٢٦٢ و ٢٦٤ ، البكري ، ١٣ .

(٩٤) سعد زغلول ، ١ / ١٨١ .

(٩٥) ابن عبدالحكم ، ٢٦٤ ؛ وينظر ، سعد زغلول ، ١ / ١٨١ ، سالم ، ٢ / ١٩٨ ، والهامش رقم ٢ .

وهكذا تمكنت القوات العربية خلال هذه الحملة من طرد القوات البيزنطية من مدينة سوسة ، وتحرير اهم حصون الدفاع الثاني في افريقية وهو حصن جلولاء .(٩٦) اضافة الى تأمين المناطق الصحراوية واعادة السلطة العربية الى ربوعها .

الا ان معاوية بن حديج شأنه شأن عبدالله بن ابي سرح غادر بلاد المغرب الى مصر سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م دون ان يترك نائباً عنه او حامية عربية تقوم بأمر ضبط المدن والقلاع المحررة ، وتعتبر حملته هذه آخر الحملات الاستطلاعية الكبرى .(٩٧) حيث ستبدأ بعدها اولى حلقات التحرير المنظم على يد رجل طالت خبرته بافريقية واهلها ذلك هو عقبة بن نافع الفهري الذي بدأ ولايته بتأسيس اول مدينة عربية اسلامية قامت في بلاد المغرب العربي .

٢ ـ مرحلة التحرير المنظم « ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ـ ٩٠ هـ / ٧٠٩ م

كانت ولاية عقبة بن نافع الفهري(٩٨) للمغرب العربي سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م(٩٩) حداً فاصلاً بين عهدين .

الاول ، بدأ بجهود عمرو بن العاص سنة ٢٢ هـ / ٦٤٣ م وانتهى بولاية معاوية بن حديج السكوني سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م وهي الفترة التي اطلق عليها عصر او فترة الاستكشاف . فرغم الانتصارات التي حققتها القوات العربية حتى ذلك الوقت فان نتائجها لم تكن لتدوم طويلاً بل كانت تلك النتائج مرهونة بوجود القوات العربية في بلاد المغرب ، فاذا ما عادت الى برقة او مصر ارتدت معظم المناطق المحررة عن الولاء والطاعة ولهذا اعتبرت الحملات العسكرية التي توالت على بلاد المغرب مجرد حملات استطلاعية ، واسعة المدى ، قد تطول ، او تقصر مدتها ، حسب الاهداف المحددة لها .

---

(٩٦) سعد زغلول ، ١ / ١٧٤ .

(٩٧) ينظر ، حسين مؤنس ، ١٢٧ .

(٩٨) عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري القرشي ولد قبل هجرة الرسول (ص) بسنة واحدة اي سنة ٦٢١ م . ينظر ، الباجي ، الخلاصة النقية ، طبعة تونس ، ١٢٨٢ هـ ص ٥ . ولد وهم ابن عذاري ، ١ / ١٩ حيث جعل مولده قبل وفاة الرسول (ص) بسنة واحدة .

(٩٩) وهم بعض المؤرخين عندما أرخوا ولايته الاولى بسنة ٤٦ هـ ، ينظر ، مثلاً ، ابن عبد الحكم ، ٢٦٢ ، البكري ، ١٣ .

واختيار عقبة بن نافع لهذه الولاية وفي هذا الوقت بالذات ، لم يكن دون معرفة تامة بشخصيته القيادية ، وجهوده الحربية على مدى فترة تزيد على الربع قرن من الزمان ، ذلك ان دار الخلافة في المشرق ، رسمت له خطة عمل ترمي الى تحقيق اهداف مركزية تقوم اساساً على تثبيت اقدام العرب في المغرب العربي من خلال تأسيس مدينة عربية اسلامية تكون قاعدة لتجمع القوات العربية ، ومركزاً لانطلاقها وملجأ لها عند الضرورة ، وهذا العمل بحد ذاته وسيلة من اجل تحقيق الهدف الاسمى وهو تحرير المغرب العربي من المستعمرين الروم البيزنطيين ، ونشر الاسلام .(١٠٠)

ولكي يتمكن عقبة من انجاز مهماته وتحقيق اهدافه ، زود بعشرة الاف مقاتل(١٠١) ، اضافة الى القوات المرابطة في مدينة برقة ، والتي كانت تضم اعداداً كبيرة من المتطوعين البربر الذين حسن اسلامهم وتوثقت طاعتهم .(١٠٢)

وزحفت هذه القوات الكبيرة باتجاه المغرب ، فاعادت اخضاع قفصه وقسطيلية والمناطق الاخرى التي تم اخضاعها سنة ٤٦ هـ خلال ولاية معاوية بن حديج . ويبدو ان عقبة بن نافع عاقب اهل هذه المناطق عقاباً صارماً لنكثهم العهد ، وخروجهم عن الطاعة .(١٠٣) .

ومن اقليم قسطيلية زحف عقبة راجعاً الى اقليم الهضبة الوسطى .(١٠٤) وفي قمونية ،(١٠٥) وقف على جهود سلفه معاوية بن حديج في بناء معسكر القرن ، وبدأ باختيار المكان المناسب لقيام اول مدينة عربية اسلامية ، في بلاد المغرب ، مشيراً الى ضرورة قيام مثل هذه المدينة بقوله ، « ان أفريقية اذا دخلها امام اجابوه الى الاسلام ، فاذا خرج منها ، رجع من كان اجاب منهم لدين الله الى الكفر ، فارى لكم يامعشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للاسلام الى اخر

---

(١٠٠) سعد زغلول ، ١ / ١٧٥ و ١٧٦ ، لقبال موسى ، المغرب الاسلامي ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٦٩ ، ص ، ٢٣ .

(١٠١) البلاذري ، ٢٣٠ ، ابن عذاري ، ١ / ١٩ .

(١٠٢) ابن الاثير ، ٢ / ٤٦٥ .

(١٠٣) ابن الاثير ، ج ٢ / ٤٦٥ ، ابن عذاري ، ١ / ١٩ ، الاستبصار ، ١١٢ .

(١٠٤) لقبال موسى ، ٢٥ .

(١٠٥) ينظر ، مؤنس ، ١٤ ، ديوز ، ٢ ـ ٢٨ .

وهكذا تمكنت القوات العربية خلال هذه الحملة من طرد القوات البيزنطية من مدينة سوسة ، وتحرير اهم حصون الدفاع الثاني في افريقية وهو حصن جلولاء .(٩٦) اضافة الى تأمين المناطق الصحراوية واعادة السلطة العربية الى ربوعها .

الا ان معاوية بن حديج شأنه شأن عبدالله بن ابي سرح غادر بلاد المغرب الى مصر سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م دون ان يترك نائباً عنه او حامية عربية تقوم بأمر ضبط المدن والقلاع المحررة ، وتعتبر حملته هذه آخر الحملات الاستطلاعية الكبرى .(٩٧) حيث ستبدأ بعدها اولى حلقات التحرير المنظم على يد رجل طالت خبرته بافريقية واهلها ذلك هو عقبة بن نافع الفهري الذي بدأ ولايته بتأسيس اول مدينة عربية اسلامية قامت في بلاد المغرب العربي .

٢ ـ مرحلة التحرير المنظم « ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ـ ٩٠ هـ / ٧٠٩ م

كانت ولاية عقبة بن نافع الفهري(٩٨) للمغرب العربي سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م(٩٩) حداً فاصلاً بين عهدين .

الاول ، بدأ بجهود عمرو بن العاص سنة ٢٢ هـ / ٦٤٣ م وانتهى بولاية معاوية بن حديج السكوني سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م وهي الفترة التي اطلق عليها عصر او فترة الاستكشاف . فرغم الانتصارات التي حققتها القوات العربية حتى ذلك الوقت فان نتائجها لم تكن لتدوم طويلاً بل كانت تلك النتائج مرهونة بوجود القوات العربية في بلاد المغرب ، فاذا ما عادت الى برقة او مصر ارتدت معظم المناطق المحررة عن الولاء والطاعة ولهذا اعتبرت الحملات العسكرية التي توالت على بلاد المغرب مجرد حملات استطلاعية ، واسعة المدى ، قد تطول ، او تقصر مدتها ، حسب الاهداف المحددة لها .

---

(٩٦) سعد زغلول ، ١ / ١٧٤ .

(٩٧) ينظر ، حسين مؤنس ، ١٢٧ .

(٩٨) عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري القرشي ولد قبل هجرة الرسول (ص) بسنة واحدة اي سنة ٦٢١ م . ينظر ، الباجي ، الغلاصة النقية ، طبعة تونس ، ١٢٨٣ هـ ص ٥ . ولد وهم ابن عذاري ، ١ / ١٩ حيث جعل مولده قبل وفاة الرسول (ص) بسنة واحدة .

(٩٩) وهم بعض المؤرخين عندما أرخوا ولايته الاولى بسنة ٤٦ هـ ، ينظر ، مثلاً ، ابن عبد الحكم ، ٢٦٢ ، البكري ، ١٣ .

واختيار عقبة بن نافع لهذه الولاية وفي هذا الوقت بالذات ، لم يكن دون معرفة تامة بشخصيته القيادية ، وجهوده الحربية على مدى فترة تزيد على الربع قرن من الزمان ، ذلك ان دار الخلافة في المشرق ، رسمت له خطة عمل ترمي الى تحقيق اهداف مركزية تقوم اساساً على تثبيت اقدام العرب في المغرب العربي من خلال تأسيس مدينة عربية اسلامية تكون قاعدة لتجمع القوات العربية ، ومركزاً لانطلاقها وملجأ لها عند الضرورة ، وهذا العمل بحد ذاته وسيلة من اجل تحقيق الهدف الاسمى وهو تحرير المغرب العربي من المستعمرين الروم البيزنطيين ، ونشر الاسلام .(١٠٠)

ولكي يتمكن عقبة من انجاز مهماته وتحقيق اهدافه ، زود بعشرة الاف مقاتل(١٠١) ، اضافة الى القوات المرابطة في مدينة برقة ، والتي كانت تضم اعداداً كبيرة من المتطوعين البربر الذين حسن اسلامهم وتوثقت طاعتهم .(١٠٢)

وزحفت هذه القوات الكبيرة باتجاه المغرب ، فاعادت اخضاع قفصه وقسطيلية والمناطق الاخرى التي تم اخضاعها سنة ٤٦ هـ خلال ولاية معاوية بن حديج . ويبدو ان عقبة بن نافع عاقب اهل هذه المناطق عقاباً صارماً لنكثهم العهد ، وخروجهم عن الطاعة .(١٠٣) .

ومن اقليم قسطيلية زحف عقبة راجعاً الى اقليم الهضبة الوسطى .(١٠٤) وفي قمونية ،(١٠٥) وقف على جهود سلفه معاوية بن حديج في بناء معسكر القرن ، وبدأ باختيار المكان المناسب لقيام اول مدينة عربية اسلامية . في بلاد المغرب ، مشيراً الى ضرورة قيام مثل هذه المدينة بقوله ، « ان أفريقية اذا دخلها امام اجابوه الى الاسلام ، فاذا خرج منها ، رجع من كان اجاب منهم لدين الله الى الكفر ، فارى لكم يامعشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للاسلام الى اخر

---

(١٠٠) سعد زغلول ، ١ / ١٧٥ و ١٧٦ ، لقبال موسى ، المغرب الاسلامي ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٦٩ ، ص ، ٣٣ .

(١٠١) البلاذري ، ٢٣٠ ، ابن عذاري ، ١ / ١٩ .

(١٠٢) ابن الاثير ، ٢ / ٤٦٥ .

(١٠٣) ابن الاثير ، ج ٢ / ٤٦٥ ، ابن عذاري ، ١ / ١٩ ، الاستبصار ، ١١٢ .

(١٠٤) لقبال موسى ، ٢٥ .

(١٠٥) ينظر ، مؤنس ، ١٤ ، ديوز ، ٢ ـ ٢٨ .

الدهر .... »[١٠٦] ويكون بها جيش المسلمين وذويهم واموالهم ليأمنوا من تمردات اهل البلاد وخروجهم عن الطاعة .[١٠٧]

وهكذا شرع عقبة بن نافع ببناء مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م[١٠٨] في موضع وسط بعيدة عن الساحل كي تكون في مأمن من هجمات الاسطول البيزنطي ، وغير متوغلة في العمق خشية من تحركات القبائل البربرية وقريبة من السبخة لتتمكن الابل من الرعي بأمان .[١٠٩]

وقد علق كودل على اختيار عقبة هذا الموضع بقوله ، « وكان اختيار المكان موفقاً بل بلغ من التوفيق في اختياره ان ولاة المغرب ، ومن خلفهم من الحكام المستقلين قاموا بها زماناً طويلاً ، ولم ينتقلوا عنها الا حينما اضطرتهم ظروف سياسية جديدة الى ذلك . كما كان موقعها الحربي معروفاً ملحوظ الاهمية ، اذ كان الحاكم الذي يتخذ هذا الموضع مركزاً لاعماله ، يستطيع ان يرى العدو من بعيد ويتحرز من الغارات المفاجئة الكثيرة الحدوث عند البربر ، واذا اراد ان يطاردهم الى هضابهم وجد الطريق مفتحه امامه ، اذ كان يستطيع بعد مسير بضع ساعات الوصول الى اعالي الهضاب ... ومن اعالي الهضاب كان يستطيع الاشراف على ما يجاورها ، فيتيسر له حكمها اذا كانت لديه القوة الكافية لذلك . كذلك كان فرسانة الخفاف قديرين على ان يقوموا بهذا النوع من أعمال الاستطلاع وبالغارات السريعة والحراسة الدائمة » .[١١٠]

وكان موضع المدينة مكاناً كثير الاشجار ، ومأوى لانواع مختلفة من الحيوانات والزواحف[١١١] ، وكان من الطبيعي ان تقطع الاشجار للاستفادة من اخشابها وتحرق الاعشاب والادغال لتنظيف المكان وتطهيره من الحيوانات المستوطنة فيه[١١٢] .

(١٠٦) ابن عذاري ، ١ / ١٩ ، وينظر ابن الاثير ، ٣ / ٤٦٥ .

(١٠٧) ابن الاثير ، ٣ / ٤٦٥ .

(١٠٨) وقال صاحب الاستبصار ، ١١٣ ، اسست سنة ٤٧ هـ ، وقال ابن عذاري ، ١ / ٢٠ سنة ٥١ هـ .

(١٠٩) ابن عذاري ، ج ١ ، ١٩ و ٢٠ ، وينظر المالكي ، ١ / ٦ ، الدباغ ، ١ / ٩ .

(١١٠) حسين مؤنس ، ١٤٣ و ١٤٤ .

(١١١) ابن عبد الحكم ، ٢٦٤ ، البلاذري ، ٢٣٠ ، الطبري ، ٥ / ٢٤٠ ، الاستبصار ، ١١٤ .

(١١٢) الواقدي ، فتوح افريقية ، ٤ ، ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٣ / ٤٢١ ، ابن عذاري ، ١ / ٢٠ .

وحسب طريقة العرب في بناء المدن ، فقد ابتدأ ببناء المسجد الجامع ثم دار الامارة[١١٣] ، ثم قسمت الارض المحيطة بهما على المقاتلين الذين اختطوا دورهم كل على قدرته[١١٤] .

ويبدو ان تحديد القبلة بالشكل الدقيق كانت من الامور التي شغلت عقبة بن نافع وأهمته لايام قبل تحديدها ، لان ضبط قبلة اول مسجد إقيم للناس في بلاد المغرب العربي من الضرورة بمكان ، لانهُ على اساسها تحدد قبلة مساجد البلاد[١١٥] ، ولاعبرة بعد ذلك لما يذكره بعض المؤرخين من ان تحديد القبلة كان بناء على كرامة من كرامات عقبة بن نافع[١١٦] ، اذ كشفت الدراسات الحديثة بان محراب مسجد القيروان الذي بناه عقبة ينحرف قليلاً عن الاتجاه الصحيح .

وكانت مدينة القيروان في البداية بسيطة البناء ، مادته الآجر المطبوخ لتوفر مادة الطين ، وعمرت بمرور الزمن بأنواع الابنية والمنشآت ، وشد الناس اليها الرحال فسكنوها من كل مكان ، واتسعت الاسواق والمرافق ودامت حركة البناء فيها فترة تقارب الخمس سنوات حتى اكتملت عمارتها سنة ٥٥ هـ[١١٩] / ٦٧٤ م ولأجل حماية المدينة ومرافقها من الغارات المفاجئة فقد لفت عمائر المدينة ومنشأتها بسور من اللبن والطين ظل قائماً حتى زمن الأغالبة فهدمه زيادة الله ، وأقام عليها سوراً من التراب .[١٢٠]

(١١٣) هناك خلاف بين المؤرخين حول بناء المسجد الجامع ، ودار الامارة ، وايهما بني اولاً . ينظر مثلاً ، الدباغ ، ١ / ١٠ ، ابن الاثير ، ٣ / ٤٦٦ ، ابن عذاري ، ١ / ٢٠ ، ابن خلدون ، ٣ / ١٠ .

(١١٤) سعد زغلول ، ١ / ١٨٦ .

(١١٥) الدباغ ، ١ / ١٠ ، الاستبصار ، ١١٤ ، ابن عذاري ، ١ / ٢٠ .

(١١٦) قال الدباغ ، اختلفوا بالقبلة فأقاموا اياماً ينظرون مطالع الشمس ومغاربها فاغتم لذلك عقبة ودعا الله ، فأتاه ات في منامه وقال له ، اذا اصبحت فأحمل لواءك على عاتقك ، فانك تسمع بين يديك تكبيراً لايسمعه احد من المؤمنين غيرك فالموضع الذي يقطع عنك التكبير فيه فهو مصلاك وهو محراب مسجدك ـ ، وينظر ايضاً ، ابن عذاري ، ١ / ٢٠ و ٢١ ، السلاوي ، ١ / ٧٩ .

(١١٧) احمد فكري ، المسجد الجامع بالقيروان ، الاسكندرية ، ١٩٦٣ م ص ، ٢٢ ، وينظر سعد زغلول ، ١ / ١٨٦ .

(١١٨) المقدسي ، ٢٢٥ ، لقبائل موسى ، ٢٥ .

(١١٩) ابن الأثير ، ٣ / ٣٦٦ .

(١٢٠) سالم ، ٢ / ٢٥٨ .

وقد اختلف المؤرخون في تقدير مساحة المدينة ، فحددها البعض بثلاثة الاف وستمائة (باع)[١٣١] وحددها آخرون بثلاثة عشر وستمائة (ذراع)[١٣٢] ، ويقول سعد زغلول : « والمساحة الاولى التي تقدر بحوالي (٥٨٠٠ م٢) معقولة بالنسبة لخطة الأولى ، واقامة الاسوار ، ووسائل الدفاع ـ أي بالنسبة للمدينة العسكرية ـ ، أما المساحة الثانية التي تقدر بحوالي (٧٠٠٠ م٢) فهي معقولة بالنسبة لمساكن العسكر والقبائل ، ومن انضاف اليهم من اهل البلاد ، وعلى ذلك يمكن القول ان المدينة العسكرية الأصلية المسورة حيث المسجد الجامع ودار الأمارة والدخائر ـ كان محيطها (٣٦٠٠) باع بينما انتشرت حولها مساكن القبائل والمساجد الخاصة بها في محيط بلغ ١٣,٦٠٠ ذراع »[١٣٣] .

وكان قيام مدينة القيروان حدثاً هاماً في تاريخ افريقية خاصة والمغرب العربي عامة ، لأنها اصبحت نواة لولاية جديدة هي ولاية المغرب العربي ، كما كانت مدينة الفسطاط من قبلها نواة لولاية مصر العربية ،[١٣٤] وحققت النتائج التي اريد من بناءها ، فأصبحت قاعدة تنطلق منها القوات العربية ، ومقراً للولاة ، ومسكناً للكثير من القبائل العربية ، وحذت بعض القبائل العربية البربرية حذو اخوانهم المشارقة ، فجاوروا المدينة الجديدة ، ودخلوا في دعوة الاسلام ، وتعلموا اللغة العربية ، ووقفوا على اصول الشريعة الأسلامية وما يجب على المسلم من واجبات ، وماله من حقوق .

وكان دور القيروان واضحاً وجلياً في نشر الاسلام والتعريب بين قبائل البربر ، فشيوخها من ابناء الصحابة والتابعين كانوا خير دعاة وخير معين ،[١٣٥] تمكنوا بعد فترة وجيزة من نقل اهل المغرب العربي من حال الى حال ، نقلوهم من حال المعادي والمتربص بالسلطة العربية ، الى صف المشارك في حروب التحرير والفاعل في تقرير السياسة العربية بهدف تحرير البلاد من المستعمرين البيزنطيين .

---

(١٣١) ابن الاثير ، ٣ / ٤٦٦ ، ابن خلدون ، ٣ / ١٠ .

(١٣٢) ابن عذاري ، ١ / ٣١ ، وينظر سالم ، ٢ / ٢٠٧ .

(١٣٣) تاريخ المغرب العربي ، ١ / ١٨٦ و ١٦٧ ، وينظر ، سالم ، ٢ / ٢٠٧ .

(١٣٤) حسين مؤنس ، ١٤٦ ، اقبال موسى ، ٣٩ .

(١٣٥) ينظر ، فيما بعد الفصل الموسوم ، « انتشار الاسلام والعروبة » .

ولا يخفى بعد هذا مالالثار المعنوية من اهمية في قيام المدينة فقد قوى جنان المجاهدين ، واطمأنت نفوسهم في الاستقرار والسكنى ، واتخاذ الدور والمساجد فيها ، وزادتهم عزيمة واصراراً لتحرير كامل التراب العربي ، وطرد الروم وملاحقة ذاريهم واجتثاث اصولهم . في ذات الوقت كان لصدى قيام هذه المدينة اثاره السلبية على الغزاة وحلفاءهم ، فقد كانت اخبار ابناءها تزيد من عوامل الانهيار النفسي لديهم ، وتعمق من هذه الخلافات بين صفوفهم .

وقد عبر ابن الاثير عن مجمل هذه النتائج بالمقولة الاتية « .. ودخل كثير من البربر في الاسلام ، واتسعت خطة المسلمين ، وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان ، وأمنوا ، واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام بها . »[١٣٥]

وهكذا قدر لمدينة القيروان ومنذ البداية دوراً يشمل النواحي العسكرية ، والسياسية ، والحضارية ، والدينية .[١٣٦]

وفي الوقت الذي كان فيه عقبة بن نافع وقواته مشغولين بانشاء المدينة ، كانت السرايا المقاتلة تجوب مناطق عديدة ، فيما بين الساحل وعمق بلاد المغرب ، لتظهير المناطق المحيطة باقليم القيروان ، ولتستطلع احوال العدو البيزنطي[١٣٧] .

وبانهاء عقبة بن نافع مهماته الاساسية سنة ٥٥ هـ/ ٦٧٥ م ارتأت الخلافة اتباع سياسة جديدة في بلاد المغرب لكسب ولاء القبائل العربية البربرية ، ونشر الاسلام والعروبة بين صفوفهم وتقوم هذه السياسة في اساسها على اعتماد الاقناع واللين والمداراة في الدرجة الاولى ، ولما كان عقبة بن نافع عسكرياً من الطراز الاول وعنيفاً في سياسته على حد قول معظم المورخين ، فقد تطلبت المرحلة الجديدة والياً سياسياً يمتلك قدراً عالياً من المرونة دون التفريط باهداف الدولة المركزية .

لهذا السبب استدعى عقبة بن نافع الفهري ، واقر مكانة ، ابو المهاجر دينار ، الذي عرف بسياسته المغايرة تماماً لسياسة سلفه ، والمصادر تمر مراً سريعاً على ولاية واعمال ابي المهاجر دينار ، ولعل السبب في ذلك يعود الى وقوع ولايته بين ولايتي عقبة بن نافع الاولى والثانية ، وعلى اية حال فما ان استقر ابو المهاجر في القيراون حتى تواصلت اليه الاخبار عن قيام نوع من التعاون العسكري بين الروم البيزنطين وكسيلة بن لمزم زعيم قبائل اوربة البرنسية ، حيث

---

(١٣٥) الكامل ، ٣ / ٤٦٦ ، وينظر اسد الغابة ، ٣ / ١٨٤ .

(١٣٦) محمد العروسي المطوي ، سيره القيروان ، الدار العربية ، تونس ، ١٩٨١ م ص ١٧ .

بدأوا يعدون العدة للقيام باعمال مضادة من شأنها الحد من تقدم القوات العربية ومنعها من التوغل في المغرب العربي ، ولكي لا يسمح ابو المهاجر دينار لعدوة بالاستعداد التام ، بادر بقيادة القوات العربية سنة ٥٥ هـ / ٦٧٥ م وزحف باتجاه اقليم تلمسان مواطن قبيلة اوربة وحلفاءها لمهاجمتهم في عقر دارهم ، فعسكر في مكان قريب من الاقليم سمي فيما بعد بعيون[١٢٨] ابي المهاجر وبدا يستعد لخوض المعركة الحاسمة .[١٢٩]

والنصوص التاريخية لا تشير الى حرب عنيفه بين الطرفين ، وان أشارت الى إنتصار ابي المهاجر دينار على قوات كسيلة[١٣٠] ، ثم صالحه واتخذه صديقاً[١٣١] ، وكسبه وقومه عندما دخلوا الاسلام جميعاً[١٣٢] ، واصبحوا قوة مضافة الى القوات العربية في جهادها ضد الروم .

وقد استغرقت حملته هذه قرابة الثلاث سنوات .[١٣٣] ولا نعرف فيما اذا كان ابو المهاجر دينار قد عاد الى القيروان للراحة واصلاح الأمور بعد هذه الحملة ، أو اتجه من تلمسان مباشرة الى مدينة قرطاجنة عاصمة الروم البيزنطيين .[١٣٤]

وعلى كل حال فالغالب ان حملته على مدينة قرطاجنة كانت مدبرة حتى قبل المسير الى اقليم تلمسان ، اذ عمد على اخضاع قبائل اوربة اولاً ، ثم يتفرغ بعد ذلك للروم البيزنطيين .[١٣٥] فالنصوص التأريخية تشير الى معارك شديدة بين القوات العربية وقوات الروم سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ م لأستخلاص مدينة قرطاجنة من ايديهم ،[١٣٦] في الوقت الذي كانت قوة عربية أخرى بقيادة حنش الصنعاني[١٣٧] تهاجم جزيرة باشو

---

(١٢٨) او ، آبار ابي المهاجر .

(١٢٩) ابن عذاري ، ١ / ٢٨ و ٢٩ .

(١٣٠) ابن عذاري ، ١ / ٢٩ ، السلاوي ، ١ / ٨٠ ، وينظر ، حسين مؤنس ، ١٧٣ .

(١٣١) المالكي ، ١ / ٢٠ ، الدباغ ، ١ / ٤٦ .

(١٣٢) ابن عذاري ، ١ / ٢٩ ، ابن تغري بردي ، ١ / ١٥٨ .

(١٣٣) حسين مؤنس ، ١٧٣

(١٣٤) حسين مؤنس ، ١٧٣

(١٣٥) حسين مؤنس ، ١٧٣ .

(١٣٦) ابن تغري بردي ، ١ / ١٥٢ .

(١٣٧) تنسب بعض المراجع قيادة هذه الحملة الى حسين بن عبدالله الصنهاجي ، ينظر ، الفتح الاسلامي لشمال أفريقية ، محمد زيتون ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، عدد ١٦ لسنة ١٩٨١ ص ٦٥ .

أو شريك .[١٣٨] واستمرت القوات العربية تسدد ضرباتها العنيفة على مدينة قرطاجنة ، وتضيف عليها الحصار ، حتى اجبر الروم البيزنطيين على طلب الصلح ، وتوقيع معاهدة تنازلوا بموجبها عن جزيرة شريك ، والمناطق القريبة منها مقابل فك الحصار عن مدينة قرطاجنة .[١٣٩]

وقبل ان يعود ابو المهاجر الى مقر ولايته ، زحف بقواته غرباً فحرر مدينة ميلة .[١٤٠] ثم اتخذ طريق العودة الى القيروان فوصلها من حدود سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م .

ونلاحظ في اعمال ابي المهاجر دينار أمرين هامين وكلاهما واضح الدلالة على التطور الذي جدَّ خلال هذه المرحلة .

الأول :

كسب قبائل البربر ، ودعوتهم الى الاسلام ، والاعتماد عليهم في اجتثاث معاقل الروم البيزنطيين ؛ ولانزاع في أن إسلام كسيلة بن لمزم زعيم قبيلة اوربة كان حدثاً مهماً له معناه وأثره البعيدان جمعناه نجاح القوات العربية في تأدية الغرض الأسمى من حملاتها العسكرية وهو نشر الاسلام ؛ وأما تأثيره فكسيلة بن لمزم لم يسلم بمفرده وانما أسلم بأسلامه نفر كبير من قومه اذا لم نقل عموم قبائل اوربة .

والثاني :

لم يعقد ابو المهاجر دينار صلحاً مع الروم على ان ينصرف عن مدينة قرطاجنة لقاء فدية من مال ، وانما طلب اليهم ان يتنازلوا له عن عدد من نقاط الارتكاز

---

(١٣٨) وهي شبه جزيرة تقع بين تونس شمالاً ، وسوسة جنوباً ، وكانت مدينة باشو قاعدة هذه الجزيرة ومن اكبر مدنها ، وكان شريك العبسي أول من دخلها من القادة العرب في حملة عبدالله بن ابي سرح ، فسميت باسمه .

(١٣٩) ابن تغري بردي ، ١ / ١٥٢ ، لقبال موسى ، ٤٨ و ٤٩ .

(١٤٠) مدينة ميلة ، مدينة ازلية فيها بعض آثار للأول تدل على أنها كانت مدينة كبيرة ، وصفها صاحب الاستبصار بقوله ، « وهي الآن عامرة آهلة كثيرة الخصب رخيصة السعر كثيرة الاسواق والمتاجر عليها سور صخر جليل من بناء الأولين » ، الاستبصار ، ١٦٦ ، وينظر البكري ، ٦٢ و ٦٤ ، وينظر تعليق حسين مؤنس ، ١٧٤ ، وقارن سالم ، ٢ / ٢١٦ والهامش رقم ، (١٢) .

المهمة في البلاد ومنها جزيرة باشو اوشريك . وستكون هذه النقاط فيما بعد عوناً للقوات العربية على الروم البيزنطيين .(١٤١)

وبوفاة الخليفة معاوية بن ابي سفيان سنة ٦٠ هـ / ٦٧٩ م . تولى الخلافة ولده يزيد . وطبيعي ان تكون للخليفة يزيد وجهة نظر خاصة في ولاية الأقاليم ، وما قد يصلح للعصر السابق ، قد لا يكون بالضرورة صالحاً للعهد الجديد . وعلى أساس هذه النظرة ، فضل الخليفة يزيد ولاية المغرب العربي عن ولاية مصر ، وجعلها ولاية مستقلة قائمة بذاتها ترتبط ارتباطاً مباشراً بدار الخلافة .(١٤٢) واعاد تعيين عقبة بن نافع الفهري سنة ٦٢ هـ / ٦٨١ م(١٤٣) والياً عليها بدلاً من ابي المهاجر دينار ،(١٤٤) والذي كان في الحقيقة نائباً عن والي مصر مسلمة بن مخلد على ولاية المغرب ، وليس والياً بالمعنى الدقيق للولاية .(١٤٥)

وتفرغ عقبة بن نافع بعد وصوله بلاد المغرب الى تنظيم شؤون الولاية واقرار الأمور في مدينة القيروان ، وعندما تم له ذلك عزم على القيام بحملته المشهورة في بلاد المغرب ، فاستخلف زهير بن قيس البلوي ، وعمر بن علي القرشي على مدينة القيروان .(١٤٦) وترك فيها حامية عسكرية قدرت بستة الاف مقاتل لحماية المدينة من أي خطر قد يتهددها من جانب الروم البيزنطيين أو قبائل البربر .(١٤٧) وخرج سنة ٦٢ هـ/٦٨١ م على رأس جيش قواته عشرة الآف مقاتل.(١٤٨) فزحف غرباً حتى وصل مدينة باغية ،(١٤٩) فهاجم حاميتها الرومية وتمكن بعد قتال شديد من ابادة معظم

(١٤١) حسين مؤنس ، ١٧٤ و ١٧٦ ، لقبال موسى ، ٤٨ و ٤٩ .

(١٤٢) المالكي ، ١ / ٢٢ ، الدباغ ، ١ / ٤٧ .

(١٤٣) يقول سعد زغلول ، الاقرب الى الصحة ان يكون عقبة قد استعاد ولايته بعد وفاة الخليفة معاوية بن ابي سفيان مباشرة ، وربما حدث ذلك سنة ٦١ هـ .
ينظر ، تاريخ المغرب العربي ، ١ / ١٩٢ ، وايضاً ، حسين مؤنس ، ١٧٩ ، سالم ، ٢ / ٢١٧ وما بعدها .

(١٤٤) المالكي ، ١ / ٢٢ ، الدباغ ، ١ / ٤٧ ، ابن الاثير ، ٤ / ١٠٥ ، ابن عذاري ، ١ / ٢٢ ، ابن ابي الدينار ، ٣٠ .

(١٤٥) كانت ولاية المغرب مرتبطة بولاية مصر وتابعة لها .

(١٤٦) ابن عبدالحكم ، ٢٦٧ ، المالكي ، ١ / ٢٢ ، الدباغ ، ١ / ٤٨ .

(١٤٧) ابن عبدالحكم ، ٢٦٨ .

(١٤٨) المالكي ، ١ / ٢٢ الدباغ ، ١ / ٤٧٠

(١٤٩) مدينة كبيرة عند اقدام جبال اوراس ، عليها سوران من الحجر ، كثيرة الانهار

مقاتليها ، واجبرت بقيتهم على الهرب والاعتصام داخل المدينة .(١٥٠) مخلفين في ميدان المعركة غنائم كثيرة خاصة خيول جبال اوراس التي عرفت بصلابتها وشدة تحملها .(١٥١)

ولم يشأ عقبة انهاك قواته في محاصرة المدينة فتركها ، وقصد مدينة المسن(١٥٢) والتي كانت على حد قول الرقيق القيرواني ومن اعظم مدائن الروم »(١٥٣) تجمع فيها منهم عدداً كبيراً خرجوا لقتال القوات العربية ، وما أن حمى اوار المعركة حتى ولوا الادبار الى داخل حصونهم ،(١٥٤) فغادرها الى بلاد الزاب ، وزحف الى مدينة أذنة(١٥٥) حيث دارت معركة طاحنة انتصرت فيها القوات العربية ، وانهزم الروم « وقتل فرسانهم ، واهل النكاية والبأس منهم ، واستولت الهزيمة على بقيتهم »(١٥٦) وفي هذا الانتصار ذهب عز الروم وملكهم من بلاد الزاب ، وانكسرت شوكتهم « الى آخر الدهر »(١٥٧)

ويعتبر تحرير بلاد الزاب واستخلاصه من الروم البيزنطيين بداية مرحلة جديدة « اذ ان العرب لم يلقوا حتى ذلك الوقت مقاومة الا من جانب الروم ، وهذا الامر يدعو الى التساؤل عن طبيعة العلاقة بين الروم والبربر في هذا الوقت ؟ والذي يفهم من النصوص ان تلك العلاقة كانت سلبية ، فالروم يعتصمون بالسواحل وبالقلاع في الداخل والى جانبهم قلة قليلة من اهل البلاد الذين انصبغوا بالصبغة الرومانية ، واعتنقوا المسيحية ... اما جمهرة المغاربة الذين لم يكونوا قد اتصلوا بعد بأخوانهم العرب ، فكانوا في الدواخل يقفون موقف المتفرج على الطرفين المتنازعين وعندما وجد الروم بعد انتصارات عقبة في الزاب ألا قبل لهم بمواجهة العرب فكروا

(١٥٠) الرقيق القيرواني ، ٤١ ، المالكي ، ١ / ٢٢ ، ابن الأثير ، ٤ / ١٠٥ ، ابن عذاري ، ١ / ٢٤ .

(١٥١) الرقيق القيرواني ، ٤٢ ، ابن عذاري ، ١ / ٢٤ .

(١٥٢) كذا عند الرقيق القيرواني ، وفي البيان المغرب ، لأبن عذاري ، ١ / ٢٤ ، مدينة المنستير ، وهو خطأ ، وفي العبر ، لأبن خلدون ، ٦ / ١٨ ، حيث الأسم ، مدينة لمس ،

(١٥٣) تاريخ افريقية والمغرب ، ٤٢ .

(١٥٤) الرقيق القيرواني ، ٤٢ ، وينظر ، ابن عذاري ، ١ / ٢٤ .

(١٥٥) مدينة مشهورة تبعد عن المسيلة بأربعة مراحل ، وحولها أكثر من ثلاثمائة قرية كلها عامرة . ينظر ، الرقيق الرقيق القيرواني ، ٤٢ ، الدباغ ، ١ / ٤٩ .

(١٥٦) الدباغ ، ١ / ٤٩ ، وينظر ، الرقيق القيرواني ، ٤٢ .

(١٥٧) الرقيق القيرواني ، ٤٢ ، المالكي ، ١ / ٢٢ .

في الاستعانة بالبربر ، ولا نعرف الظروف التي تمت فيها الاتصالات والاتفاق بين الروم والبربر ، ولا ماهية الوعود أو التنازلات التي قدمها الروم ، فكل ما يقوله الكتاب هو ان الروم استغاثوا بالبربر ... فأجابوهم ونصروهم(١٥٨) » فعندما زحفت القوات العربية الى منطقة تاهرت ، وجد عقبة نفسه امام جموع كبيرة من الروم والبربر من قبائل لواته ، وهوارة وزواغة ، ومطماطة ، وزناتة ، ومكناسة(١٥٩) ، واستعدت القوات العربية لخوض غمار المعركة ، فقام عقبة خطيباً يحض القوم على الصبر والصمود ، وملاقاة الاعداء بقلوب صادقة(١٦٠) ، والتقى الطرفان في قتال عنيف وطأته شديدة على القوات العربية ، ولكن صمودهم أعجز جموع الروم والبربر واستنفذت طاقة تحملهم(١٦١) ، فولت قواتهم منهزمة تريد الاعتصام بالمدينة ، ولكن القوات العربية لم تمكنهم من هدفهم « فأفنوهم وقطعوا اثارهم(١٦٢) » .

وعلى اثر هذه الهزائم التي منيت بها القوات الروحية ، لجأ من بقي منهم الى الحصون والمعاقل ، فتركهم دونما اعتراض ، وزحف بقواته موغلاً في المناطق الغربية حتى صار باحواز طنجة(١٦٣) ، والتي كانت تشمل الاقاليم الواقعة على الساحل وتضم اضافة الى مدينة طنجة مدينة اخرى هي سبتة ، وكان حاكم الاقليم خلال هذه الفترة ملكاً من ملوك قبيلة غمارة اسمه يليان ، كان من اشراف قومه ومن ذوي العقل والدهاء فيهم ، كاتب عقبة بن نافع وهاداه ، وسأل منه المسالمة ، والنزول على

---

(١٥٨) سعد زغلول ، ١ / ١٩٦ و ١٩٧ ، وينظر ، ابن الاثير ، ٤ / ١١٥ .

(١٥٩) كانت منطقة تاهرت مواطن القبائل المذكورة ، وينظر ، ابن عذاري ، ١ / ٢٥ .

(١٦٠) نص الخطبة في ، تاريخ افريقية والمغرب ، الرقيق القيرواني ، ٤٣ و ٤٤ ، الدباغ ، ١ / ٤٩ و ٥٠ .

(١٦١) الرقيق القيرواني ، ٤٤ ، المالكي ، ١ / ٢٣ ، ابن الاثير ، ٤ / ١٠٥ و ١٠٦ .

(١٦٢) ابن عذاري ، ١ / ٢٥ .

(١٦٣) ابن عذاري ، ١ / ٢٦ ، ويقول حسين مؤنس في كتابه فتح العرب للمغرب ، ١٩١ .
« ولا يفسر انتهاؤه الى هذه المنطقة راساً دون ان يمر بمدن اخرى من مدن الساحل مثل باديس ، ونكور ، وتطوان ، الا بأنه اختار الممر الضيق المحصور بين هضبة الريف ، وجبال الاطلس الوسطى ، لكي يجنب نفسه مشقة المرور بالساحل الملىء بالمدائن الحصينة التي ربما لقي فيها مثل ما لقي في باغية وتاهرت . »

(١٦٤) ينظر ، ابن عذاري ، ١ / ٢٦ .

(١٦٥) وهذا مانرجحه على كثرة الاراء في اصله فقد قيل انه امير من القوط ، وقيل من بطارقة الروم وقيل غير ذلك ، ورسم اسمه تارة ، يوليان واخرى يليان ، وبليان ، واليان . ينظر حسين مؤنس ، ١٩١ .

حكمه(١٦٦) ، فظهر عقبة بمظهر السياسي القدير فرأى ان يرتبط بهذا الحليف المفيد(١٦٧) ، فقبل ماعرضه عليه ، وتم الاجتماع بينهما ، وقدم يليان معلومات قيمة عن احوال الاندلس والروم والبربر ، ولفت نظر عقبة الى ترك التفكير بالاندلس في هذه المرحلة ، حتى يتم له القضاء على مقاومة الروم البيزنطيين والبربر في بلاد المغرب ، وتطهيره من عناصر المقاومة(١٦٨) .

زحف عقبة من طنجة الى السوس الادنى ، فدخل بلاد تامسنا مواطن قبائل مصمودة ، فهزم جموعهم ، وبث سراياه في اتجاهات مختلفة لملاحقة المنهزمين ،(١٦٩) ثم واصل زحفه حتى مدينة وليلي ،(١٧٠) وفي هذا المكان اصطدم ببربر أطلس الوسطى ، فهزمهم ولاحقهم جنوباً عبر تادلا ،(١٧١) نحو صحراء وادي درعة ،(١٧٢) ولكي لايتوغل كثيراً في المناطق الصحراوية ، توجه نحو الشمال الغربي الى منطقة تافللت ، ودار حول جبال اطلس العليا ، فدخل مواطن قبائل صنهاجة ، ثم اعقبها بدخول منطقة قبائل هسكوره ،(١٧٤) ثم نزل مدينة أغمات وريكة ،(١٧٥) ومنها اتجه

---

(١٦٦) الرقيق القيرواني ، ٤٥ ، ابن عذاري ، ١ / ٢٦ .

(١٦٧) سعد زغلول ، ١ / ١٩٩ .

(١٦٨) قال الرقيق القيرواني ، ٤٥ فسأله عن بحر الاندلس فقال له ، « انة محفوظ لايرام . فقال له ، دلني على حال البربر والروم فقال له ، قد تركت الروم خلفك ، وما قدامك الا البربر . وفرسانهم . قال له ، واين موضعهم ؟ قال ، في السوس الادنى ، وهم قوم ليس لهم دين ، ولم يدخلوا النصرانية يأكلون الميته ويشربون الدم من أنعامهم يكفرون بالله عز وجل ولا يعرفونه . » وينظر ابن الاثير ، ٤ / ١٠٦ .

(١٦٩) سعد زغلول ، ١ / ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(١٧٠) ابن عذاري ، ١ / ٢٦ ، ابن الاثير ، ٤ / .

(١٧١) المدينة التي سينزلها ادريس الاول ، مؤسس دولة الادارسة ، وكانت حين نزوله فيها موطن قبائل اوربة ، سكنوها بعد مقتل زعيمهم كسيله ابن لمزم في واقعة مسن في ولاية زهير بن قيس البلوي .

(١٧٢) مدينة قديمة فيها اثار للأول ، بنى بها المرابطون حصناً قويا ، والمدينة مشهورة منذ القدم سكنتها قبائل عديدة من قبائل المغرب . الاستبصار ، ٢٠٠ .

(١٧٣) عرفت مدينة درعة بواديها ، والذي هو نهر كبير يجري من الشرق الى المغرب ، ومنبعه من جبل درن وعليه عمارة متصلة نحو أيام ، وفيها اسواق مشهورة ومعروفة لدى اهل المغرب . الاستبصار ، ٢٠٦ .

(١٧٤) ابن عذاري ، ١ / ٢٦ ، وينظر ، سعد زغلول ، ١ / ٢٠٠ .

(١٧٥) مدينة اغمات ، مدينتان ، هما اغمات وريكة ، واغمات هيلانة وبينهما حوالي ثمانية ايام ، واغمات وريكة اشهر حيث كانت محل سكنى الاعيان والتجار .
ينظر ، البكري ، ١٥٣ ، الاستبصار ، ٢٠٨ .

غرباً الى مدينة تفيس ، فحاصرها حتى استسلمت له .(١٧٦) وكان سكانها من الروم والبربر ، واصاب بها عقبة اموالاً كثيرة ومغانم واسعة .(١٧٧)

وباستسلام مدينة تفيس انفتح امام عقبة وادي السوس الاقصى ، فقصد قاعدته ايجلي ، فدخلها وبنى بها مسجداً ، ودعا قبائل المنطقة الى الاسلام فأسلمت قبائل جزولة وآخرين غيرهم ،(١٧٨) ومن ايجلي زحف الى ماسة على المحيط الاطلسي(١٧٩) فأقحم فرسه في مياه المحيط ونادى باعلى صوته ،« اللهم اشهد اني قد بلغت المجهود ، ولو لا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك . »(١٨٠)

وعندما عزم عقبة على العودة ، دار جنوبي مدينة ماسة ماراً بايغران يطوف ثم مضى شمالاً حتى تارنا ، ثم الى موضع شاكر الذي سمي نسبة الى صاحب عقبة شاكر ، الذي اسس رباطاً في هذه المنطقة(١٨١) ، وتخلف فيها يدعو الناس الى الاسلام . ويعلمهم شرائعه(١٨٢) ، ومن هذا الموضع نفذ الى بلاد دكالة(١٨٣) ، فدعاهم الى الاسلام ، فامتنعوا عليه ووقعت بين الطرفين معركة استشهد فيها عدد كبيراً من مقاتلي القوات العربية ، حتى سمي موضع المعركة فيما بعد بمقبرة الشهداء(١٨٤) ومن دكالة مضى الى بلاد هسكورة التي امتنعت هي الاخرى ، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى اجبرهم على الهروب امامه دون نظام(١٨٥) . وعبر بعدها نهر ام الربيع وتوغل

(١٧٦) ابن عذاري ، ١ / ٣٧ .
(١٧٧) الاستبصار ، ٢٠٨ ،البكري ، ١٦٠ .
(١٧٨) ابن عذاري ، ١ / ٣٧ ، وينظر سعد زغلول ، ١ / ٢٠١ ، سالم ، ٢ / ٢٢٦ .
(١٧٩) ابن عذاري ، ١ / ٣٧ .
(١٨٠) الدباغ ، ١ / ٥١ ، وينظر ، ابن عبد الحكم ، ٢٦٨ ، ابن عذاري ، ١ / ٣٧ .
(١٨١) يقع عند وادي تنسيفت في منتصف المسافة بين الموضع التي سنقوم ستقوم عليه مدينة مراكش ، وموجادرو .
(١٨٢) ابن عذاري ، ١ / ٣٧ ، وينظر سالم ، ٢ / ٢٢١ .
(١٨٣) يقول سعد زغلول ، « وحتى ذلك الوقت لم يجد عقبة ... مقاومة ، جدية ، ولكن النصوص تأخذ في الاشارة الى ما بدا يلقاه عقبة من المتاعب . فعندما دخل بلاد دكالة شمال وادي نفيس بين وادي تنسيف ووادي ام الربيع ودعاهم الى الاسلام امتنعوا اليه ، والظاهر انهم دبروا الغدر به » تاريخ المغرب العربي ، ١ / ٢٠٢ .
(١٨٤) نص عبد الله بن صالح ، ٢٢٠ ، ابن عذاري ، ١ / ٣٨ .
(١٨٥) ابن عذاري ، ١ / ٣٨ .

شرقاً حتى دخل المغرب الاوسط(١٨٦) ، وعند مدينة طبنة التي تبعد مسيرة ثمانية ايام عن مدينة القيروان(١٨٧) ، امر عقبة معظم القوات بالتوجه فوجاً اثر فوج الى مدينة القيروان وظل هو في قوة تقدر بخمسة الاف مقاتل(١٨٨) ، ويعلل المؤرخون هذا العمل بجملة اسباب هي .

١ ـ القرب من ثغر افريقية « القيروان »(١٨٩) .
٢ ـ الثقة بما نال من العدو(١٩٠) .
٣ ـ طول المدة التي قضاها المقاتلون في هذه الحملة ، فصرف معظمهم للحاق بمنازلهم وعيالهم .(١٩١)
٤ ـ ما قام به كسيلة بن لمزم بعد هربه من طمر ابار المياه على طول الطريق السالكه الى القيروان(١٩٢) ، مما دعا عقبة الى اتخاذ طريق يتميز بقلة المياه ولا يكفي لارواء القوات مجتمعة(١٩٣) .
٥ ـ وربما يكون لتفشي الجراح والاصابات بين المقاتلين من بين الاسباب التي دفعت عقبة الى هذا الاجراء .(١٩٤)

(١٨٦) سالم ، ٢ / ٢٢٦ و ٢٢٧ ، وينظر ، سعد زغلول ، ١ / ٢٠٢
(١٨٧) الاستبصار ، ١٧٢ .
(١٨٨) نص عبدالله بن صالح ، ٢٢٠ ، المالكي ، ١ / ٣٦ ، الدباغ ، ١ / ٥٤ ، ابن الاثير ، ٤ / ١٠٦ ، ابن عذاري ، ١ / ٢٩ ، وفي الاستقصا ، ١ / ٨٤ ، والخلاصة النقية ، ٥٠ في ثلاثمائة فارس .
(١٨٩) ابن عبد الحكم ، ٢٦٧ ، الدباغ ، ١ / ٥١ ، ابن الاثير ، ٤ / ١٠٦ .
(١٩٠) ابن الاثير ، ٤ / ١٠٦ .
(١٩١) ابن عذاري ، ١ / ٣٨ .
(١٩٢) قال ابن عبد الحكم ، ٢٦٨ ، وخرج ابن الكاهنة البربري ـ يعني كسيلة ـ على اثر عقبة كلما رحل عقبة من منهل دفنه ابن الكاهنة فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة الى السوس ولا يشعر بها صنع البربري .
(١٩٣) سلك عقبة في ذهابه من القيروان الى المحيط ، طريق الاطلسي التلي اما رجوعه فعلى شمال الاطلس الصحراوي ، ومحذور طريق العودة ، هو قلة مياهه . ينظر ، محمود شيت خطاب ، قادة فتح المغرب العربي ، ١٢٢ .
(١٩٤) نتيجة الوقائع الشديدة بين القوات العربية وقبائل بلاد دكالة ومصمودة .

لهذه الاسباب ، مجتمعة قام عقبة بارسال معظم قواته للحاق بمدينة القيروان ، وانعطف بمن بقى معه من الفرسان لتحرير مدينتي تهوذة ،(١٩٥) ، وبادس ،(١٩٦) وعندما تقدم ناحية تهوذة ، طمع فيهم الروم لقلتهم « فاغلقوا باب حصنهم ، وجعلوا يشتمونه ، ويرمونه بالحجارة والنبل ، وهو يدعوهم الى الله »(١٩٧) وعندما توسط البلاد فوجيء بقوات كسيلة بن لمزم تحيط به من كل جانب ، والمصادر التاريخية لا تذكر المكان الذي هرب منه كسيلة للحاق بابناء عشيرته وقومه ، وان كانت تشير الى ان ابا المهاجر دينار نصح عقبة عندما اراد النهوض الى طنجة بقوله ، « ليس بطنجة عدو لك ، لان الناس قد اسلموا ، وهذا رئيس البلاد – يعني كسيلة – فابعث معه والياً ، فأبى عقبة الا ان يخرج بنفسه . »(١٩٨) وضيق على كسيلة ، فأجبره على القيام باعمال لا تليق بمركزه ،(١٩٩) مع اجماع الروايات على عدم استحكام الاسلام بقلبه ،(٢٠٠) وخشية ابي المهاجر دينار من ان تؤدي هذه المعاملة الى نتائج تنتهي بانقلاب كسيلة عندما حذر عقبة ونصحه بقوله ، « توثق من الرجل فاني اخاف فتكه . »(٢٠١)

وعلى كل حال فقد كان عقبة معذوراً في سياسته اتجاه كسيلة ان صحت مقولة المؤرخين ، فكسيلة كان يتصرف كأمير من الامراء ، وربما كان لتصرفه هذا مبعث استياء قد لا تحمد عقباها في حملة عسكرية ، اضافة الى ان عقبة ربما وقف على اعمال واتصالات لكسيلة تخل بأمن الحملة حسبت عليه ، ولم تسمح الظروف للتوثق منها ، ومعاجلته بما اتى ، حتى تمكن ، من الهرب فبانت نواياه الشريرة وتوثقت خيانته .(٢٠٢)

---

(١٩٥) تقع بالقرب من بسكرة ، وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور حصين ولها رياض كبيرة ، وارياض كثيرة بدور يجمعها خندق ، ويمر بها نهر يجري اليها من جبل اوراس . الاستبصار ، ١٧٤ ، البكري ، ٧٢ .

(١٩٦) بادس ، مدينة كبيرة لها حصنان ، وارياض واسعة ، وهي مدينة قديمة فيها الثار للاولين . الاستبصار ، ١٧٥ ، البكري ، ٧٤ .

(١٩٧) ابن عذاري ، ١ / ٢٨ . وينظر ابن الاثير ٤ / ١٠٦ .

(١٩٨) الدباغ ، ١ / ٥٣ .

(١٩٩) من ذلك انه اجبر كسيله على ذبح الاغنام وسلخها ، وتهاون بأمره كثيراً . ينظر المالكي ، ١ / ٢٦ ، الدباغ ، ١ / ٥٢ ، ابن عذاري ، ١ / ٢٩ ، ابن خلدون ، ٦ / ١٤٦ .

(٢٠٠) ينظر النص في ، المالكي ، ١ / ٢٦ ، الدباغ ، ١ / ٥٢ ، ابن خلدون ، ٦ / ١٤٦ .

(٢٠١) الدباغ ، ١ / ٥٢ . وينظر ، المالكي ، ١ / ٢٦ ، ابن خلدون ، ٦ / ١٤٦ .

(٢٠٢) وينظر ، حسين مؤنس ، ١٩٧

وهرب كسيلة بن لمزم من معسكر عقبة ، تم على الاكثر بعد خروج القوات العربية من منطقة طنجة باتجاه السوس الادنى ، وتمكن بعد هروبه من جمع قوات كبيرة من البربر اضافة الى الروم هاجمت في البداية مدينة القيروان ، ولما لم يتمكن منها(٢٠٣) ، بعث سراياه للعمل خلف خطوط القوات العربية التي كان يقودها عقبة ، فطمرت الابار وغورت المياه(٢٠٤) ، للتضيق على الجيش في طريق عودته ، واجباره على سلك طريقة اخرى يمكن مداهمته فيها بعد ذلك(٢٠٥) ، ونجحت خطة كسيلة .

ونجحت خطة كسيلة ، ففي الوقت الذي انهى عقبة بقوة صغيرة من الفرسان الى مدينة تهودة كان كسيلة على راس جيش كبير منهم البربر والروم ، وبينما تقطعت السبل بعقبة وقواته ، كانت جموع كسيلة تزداد عدداً بمن ينضم اليها يوماً بعد يوم حتى بلغت الخمسين الف مقاتل .(٢٠٦)

ولم ترعب هذه القوات عقبة وصحبه ، فلم يفكر بالانسحاب من المواجهة ، لاختيار ظروف افضل ، بل قاتلوا قتالاً باسلاً حتى استشهدوا عن أخرهم ، فيما عدا أنفار منهم وقعوا في الاسر فافتداهم صاحب قفصة ابن مصاد ، والحقوا بزهير بن قيس في مدينة القيروان وكانت هذه الواقعة آواخر سنة ٦٣ هـ / ٦٨٣ م ، او بداية سنة ٦٤ هـ / ٦٨٤ م(٢٠٨) .

وكان لاستشهاد عقبة بن نافع ، وابي المهاجر دينار وصحبهم اثر عميق في نفوس المسلمين ، فعقبة وابي المهاجر دينار هما اول القادة الذين استشهدوا في بلاد المغرب العربي ، دفاعاً عن القيم والمباديء وكان لخبر استشهادهما وقع شديد أثر

---

(٢٠٣) ابن عبدالحكم ، ٢٦٧ و ٢٦٨ .

(٢٠٤) ابن عبدالحكم ، ٢٦٨ .

(٢٠٥) حسين مؤنس ، ١٩٨ و ١٩٩ .

(٢٠٦) المالكي ، ١ / ٢٧ ، الدباغ ، ٥٤ ، ابن عذاري ، ١ / ٢٩ .

(٢٠٧) ابن الاثير ، ٤ / ١٠٨ ، ابن خلدون ، ٦ / ١٤٧ ، وكان من بين الاسرى ، محمد بن اوس الانصاري ، ويزيد بن خلف العبسي وغيرهما .

(٢٠٨) تختلف الروايات في تحديد استشهاد عقبة وصحبه فيجعلونها بين سنوات ٦٢ و ٦٤ ويجعل بعض الباحثين استشهاده في بداية سنة ٦٥ هـ .
ينظر ، لهلة شهاب ، المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع ، رسالة ماجستير ، مكتوبة على الالة الكاتبة – كلية الاداب ، جامعة الموصل ١٩٨٧ ص ١٢٨ وما بعدها

تأثيراً سلبياً على معنويات الجند المرابطين في مدينة القيروان ، فأفترقت الكلمة ، وتعددت الآراء ، ورغم جهود زهير ابن قيس البلوي الواضحة في معالجة الاوضاع الطارئة واصراره على الصمود ، والدفاع عن القيروان ، الا انه اضطر اخيراً الى اخلاء المدينة والانسحاب الى مدينة برقة حيث ظل مرابطاً هناك انتظاراً لتعليمات دار الخلافة .(٢٠٩)

اما كسيلة فلم يجد صعوبة تذكر في دخول مدينة القيروان في محرم سنة ٦٤ هـ / ٦٨٤ م فأمن من بقى فيها من المسلمين(٢١٠) ، وظل اميراً على القيروان وما يحيط بها فترة تقارب الخمس سنوات(٢١١) ، كانت الخلافة خلالها تمر بفترة عصيبة شغلتها عن امور المغرب طوال تلك المدة .

فعندما توفي الخليفة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ / ٦٨٤ م أعقبه على الخلافة ولده معاوية الثاني والذي لم يستمر الا أياماً ، فأعقبه مروان بن الحكم الذي شغل بالقضاء على الفتن القائمة ضده ، ونجح من استعادة مصر طريق المغرب الى سلطة الخلافة ، وقضى ولده الخليفة عبد الملك السنوات الاولى من حكمه في استعادة سلطة الخلافة على العراق والمشرق ، وعندما بدأت الامور تسير نحو الاستقرار ، قرر الخليفة عبد الملك استعادة القيروان ومواصلة حروب التحرير في المغرب العربي ، وعقد لذلك مجلساً من كبار المستشارين من اهل الخبرة والمعرفة ، وانتهى المجلس بأختيار زهير بن قيس البلوي والياً على المغرب ، وقائداً لجيوشها ، واقر الخليفة هذا الرأي ووقع عليه مهمة تحرير مدينة القيروان ، ومن ثم استئناف حروب التحرير ضد الغزاة البيزنطيين .(٢١٢)

واسباب تقديم زهير بن قيس على غيره من القادة مدرجة في كتب التاريخ فهو صاحب عقبة بن نافع ، وأعرف الناس بسيرته وتدبيره ، ومن ثم فهو مثله في الدين والتقوى(٢١٣) ، واضافة الى ذلك فزهير بن قيس قضى سنوات عديدة في بلاد المغرب مجاهداً في صفوف القوات العربية ، ونائباً عن ولاتها في امور كثيرة .

(٢٠٩) بشير ابن عبد الحكم ، ٢٦٩ الى قتال وقع بين زهير بن قيس وكسيلة حول القيروان فهزم كسيلة وانسحب زهير بقواته الى (مصر) كذا ، والصحيح برقة .
وينظر ، ابن الاثير ، ٤ / ١٠٨ ، ابن عذاري ، ١ / ٣١ ، ابن خلدون ، ٦ / ١٨٦ .
(٢١٠) المالكي ، ١ / ٣٧ ، الدباغ ، ١ / ٥٥ ، ابن الاثير ، ٤ / ١٠٨ .
(٢١١) ابن خلدون ، ٦ / ١٠٩ و ١٤٧ .
(٢١٢) ابن الاثير ، ٤ / ١٠٨ ، ابن عذاري ، ١ / ٣١ ، وينظر سعد زغلول ، ١ / ٢٠٨ .

زحف زهير بن قيس من برقة سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م على راس جيش كبير وعندما بلغ كسيلة خبر زحف القوات العربية ، جمع قواتاً فاقت كثيراً قوات زهير(٢١٤) . ورغم ذلك فقد ابدى تخوفاً من موقف مسلمي القيروان نحوه ، وخشى ان يثب عليه سكان المدينة من الخلف فيقع بين القوتين(٢١٥) ، لذلك عزم على مغادرة القيروان ودعا كبار قواده ، وأشار اليهم بخطته قائلاً ، « انى اردت ان ارحل الى ممس(٢١٦) ، فأنزلها فان هذه المدينة ـ يعني القيروان ـ فيها خلق عظيم من المسلمين ولهم علينا عهد ... ونحن نخاف اذا التحم القتال أن يثبوا علينا ، ولكن ننزل بممس على ماء كثير يحمل عسكرنا ، فان معنا خلقاً عظيماً ، فان هزمناهم دخلنا معهم الى طرابلس وقطعنا دابرهم ... وتكون لنا افريقية داراً الى آخر الدهر ، وان هزمونا كان الجبل منا قريباً والشعراء فنرجوا الا نهلك ، ولا يفقد منا الا القليل فوافقوه » .(٢١٧)

فخرج بقواته ونزل موضع ممس ، في الوقت الذي وصلت فيه القوات العربية مشارف مدينة القيروان ، فعسكرت في قرية يقال لها قرشانة .(٢١٨) ومنها خرج زهير بقواته وهو على تعبئة استعداداً للمعركة حتى وصل ممس ، وفيها وقعت بين الطرفين معركة حامية الوطيس صبر لها الطرفان وانتهت بتمزيق صفوف قوات كسيلة وقتله اثناء المعركة .(٢١٩) وتشتت قواته هاربة تلاحقها القوات العربية حتى اجازوهم وادي ملوية .(٢٢٠)

وتعتبر موقعة ممس من المواقع الحاسمة في تاريخ المغرب لانها اعادت مجد الانتصارات العربية ، واذلت الروم البيزنطيين وخمدت مقاومة البربر .(٢٢١) وكسرت شوكة اوربة من بينهم خاصة .(٢٢٢)

(٢١٤) الدباغ ، ١ / ٥٧ ، ابن الاثير ، ٤ / ١٠٨ ، ابن عذاري ، ١ / ٣٢ .
(٢١٥) سالم ، ٢ / ٢٢٥ .
(٢١٦) ممس ، او ممش ، مدينة قديمة كانت من معاقل الروم البيزنطيين ، على مسيرة يوم واحد من مدينة القيروان .
(٢١٧) الرقيق القيرواني ، ٥ ، وينظر ، ابن عذاري ، ١ / ٣٢ ، ابن الاثير ، ٤ / ١٠٨ .
(٢١٨) المالكي ، ١ / ٣٠ ، وينظر ، سالم ، ٢ / ٢٢٦ ، والهامش رقم (٢) .
(٢١٩) الرقيق القيرواني ، ٥١ ، ٥٢ ، ابن الاثير ، ٤ / ١٠٨ ، السلاوي ، ١ / ٩١ .
(٢٢٠) الرقيق القيرواني ، ٥٢ .
(٢٢١) ابن الاثير ، ٤ / ١٠٩ ، السلاوي ، ١ / ٩١ .
(٢٢٢) ابن خلدون ، ٦ / ١٤٧ ، والنص ، « وحدت شوكة اوربة من بينهم واستظر بجمهورهم

وعاد زهير بعد هذا الانتصار ، فدخل مدينة القيروان ، واشرف على تنظيم ادارتها ، واقرار السلطة في ربوعها ، ولكنه غادرها على عجل عندما وصلته اخبار هجوم الروم البيزنطيين على برقة ، فاشرف على القوات الرومية[٢٢٣] ، وهي تستعد للاقلاع في البحر وبين ايديهم اعداداً من اسرى المسلمين ؛ ولم يكن الوقت ليسمح بتجميع القوات بأكملها ، فدخل معركة غير متكافئة ، وفي ميدان لا يسمح لاستخدام الخيول او المناورة فاستشهد زهير ؛ في حين ولى الروم منسحبين في عمق البحر المتوسط ، وذلك سنة ٦٣ هـ / ٦٨٩ م[٢٢٤] .

وباستشهاد زهير بن قيس ، وخلو البلاد من قوة ، ووالٍ يسوسان امرها نتيجة انشغال الخلافة الاموية بالقضاء على حركة ابن الزبير وغيره ؛ عادت الاضطرابات فعمت البلاد ، وافترق امر البربر ، وتعدد سلطانهم في رؤسائهم[٢٢٥] . واستمر الحال حتى سنة ٧٣ هـ / ٦٩٣ م[٢٢٦] ،عندما ولى الخليفة عبدالملك بن مروان[٢٢٧] ، حسان بن النعمان الغساني والياً على المغرب .

وحسان بن النعمان الغساني ، احد القادة المشهورين ، واول والٍ من بلاد الشام . لم يسبق له المشاركة في حروب التحرير بالمغرب ، وكان الولاة قبله قد تدرجوا في المناصب الادارية والعسكرية في مصر او المغرب ، حتى ارتقوا منصب الولاية وقيادة الجيوش العربية فيها .

دخل حسان بن النعمان سنة ٧٤ هـ / ٦٩٣[٢٢٨] م على راس جيش ، قيل انه لم

---

(٢٢٣) ربما كان ذلك في منطقة درنة ، ينظر سعد زغلول ، ١ / ٢١٣ ، لقبال موسى ، ٦٧ .

(٢٢٤) الرقيق القيرواني ، ٥٣ ، المالكي ، ١ / ١٥ ، الدباغ ، ١ / ٥٩ ، ابن الاثير ، ٤ / ١٠٩ و ١١٠ . وفيه ، « وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة الى افريقية لقتال كسيلة فاغتنموا خلوها ، فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية ، واغاروا على برقة ، فاصابوا منها سبياً كثيراً ، وقتلوا ونهبوا ... فامر العسكر بالسرعة والجد في قتالهم ورحل هو ومن معه ، وكان الروم خلقاً كثيراً ، فلما راه المسلمون استفاظوا به فلم يمكنه الرجوع ، وباشر القتال ... ولتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهير ، واصحابه ولم ينجو منهم احد » .

(٢٢٥) السلاوي ، ١ / ٩٢ .

(٢٢٦) ابن عبدالحكم ، ٢٦٩ ، ابن الاثير ، ٤ / ٢٦٩ ، حيث تاريخ حملته في سنة ٧٤ هـ . وفي الدباغ ١ / ٦٠ ، سنة ٦٩ هـ ، وابن عذاري ، ١ / ٢٤ ، ويجعل ولايته سنة ٧٨ هـ .

(٢٢٧) تنظر مقولة الخليفة عبدالملك بحسان بن النعمان في الرقيق القيرواني ، ٥٩ .

(٢٢٨) ابن الاثير ، ٤ / ٢٦٩ .

يدخل المغرب قبله جيش بعدده وعدته[٢٢٩] ، وتضخم هذا الجيش بمن انضم اليه من العرب البربر والمتطوعة حتى بلغ الاربعين الف مقاتل[٢٣٠] ، وجعل حسان على مقدمته محمد بن ابي بكير ، وهلال بن ثروان اللواتي[٢٣١] ، ووجود قائد من البربر – هلال بن ثروان اللواتي – على راس هذه القوة الكبيرة ، يعني قبل كل شيء رسوخ مبادىء الاسلام والعروبة لدى السكان المحليين الذين بدأوا ومنذ وقت مبكر يشاركون القوات العربية ، مشاركة فاعلة في تحرير البلاد من الغزاة البيزنطيين وتدرجوا حتى تسلم بعضهم المناصب القيادية ، والمشاركة في تحمل المسؤولية .

وكانت خطة حسان العسكرية تهدف الى تحقيق مهمتين اساسيتين ،

الاولى : القضاء على قوة الروم . وضرب معاقلهم المهمة .

والثانية : تطويع البربر ، الذين تجمعوا تحت قيادة الكاهنة ملكة جبال (اوراس) ؛

وأدرك حسان بن النعمان ان القضاء على قوة الروم وكسر شوكتهم يتطلب تحوير مدينة قرطاجنة من قبضتهم ، تلك المدينة التي طالما تركتها القوات العربية خلف ظهرها دونما استئصال تام لاصل الداء ، الذي كان يثير في بلاد المغرب بذور الفرقة والانشقاق .

لذا كان قرار حسان بن النعمان صائباً عندما قصد اول ما قصد اجتثاب معاقل الروم البيزنطيين ، فزحف نحو عاصمتهم ورمز قوتهم مدينة قرطاجنة فهاجمها في سنة ٧٤ هـ / ٦٩٤ م ، وحاصرها حصاراً شديداً ، أعجزت قوات الروم عن الصمود ، فدخلها بعد ان هرب معظم قواتها باتجاه جزر البحر المتوسط[٢٣٣] ، فأمن حسان

---

(٢٢٩) ابن الاثير ، ٤ / ٢٦٩ ، ابن عذاري ، ١ / ٢٤ ، السراج ، الحلل السندسية في الاخبار التونسية تونس ، ٢ / ٥٢٢ .

(٢٣٠) ابن عذاري ، ١ / ٢٤ ، السلاوي ، ١ / ٩٢ .

(٢٣١) ابن عبدالحكم ، ٢٧٠ ، ويضيف ايضاً ، زهير بن قيس البلوي ، خطأ .

(٢٣٢) هربوا الى جزيرة صقلية والاندلس .

من استسلم من أهلها[٢٣٣]، ونظم شؤون المدينة وخلف فيها حامية عربية[٢٣٤]. واتجه بقواته الرئيسية صوب مدينتي صطفورة و بنزرت حيث تجمعت فيهما قوات كبيرة للروم والبربر، وتمكن حسان بعد قتال شديد من الانتصار عليهم وملاحقة فلولهم، فهرب الروم واعتصموا بمدينة باجة[٢٣٥]، ولجأ البربر الى اقليم بونة[٢٣٦]، واكتفى حسان بما ناله من الروم خلال هذه الحملة. فعاد الى مدينة القيروان ليستعد للحملة الثانية[٢٣٧].

وحسب خطة حسان بن النعمان فقد وقعت المعركة الثانية بين القوات العربية، وقوات البربر البتر، والذين كانوا تحت زعامة امرأة شهرت بالكاهنة واسمها، دهيا او دهيار بنت ماتية[٢٣٨]، وصفها المؤرخون بانها ملكه جبال اوراس، وكانت تتمتع بسطوة وسلطان واسعين، حتى قيل لحسان بن النعمان « ان قتلتها دان لك المغرب كله[٢٣٩] ».

وقد استعدت الكاهنة للقاء القوات العربية، واتخذت مجموعة من الاجراءات بقصد عرقلة تقدمها، وحاولت وبأساليب شتى حرمان الجيش العربي من مصادر

---

(٢٣٣) تختلف الروايات التاريخية في كيفية دخول مدينة قرطاجنة، فقد ذكر انه دخلها صلحا وقيل دخلها عنوة، وقيل ان الروم خدعوا حسان فطلبوا منه الامان ثم استغلوا الفرصة فهربوا باموالهم وذويهم بمراكبهم الى جزر البحر المتوسط، ينظر، البكري، ٢٣٧، رحلة التجاني، ١٠. ابن عبدالحكم، ٢٧٠، الدباغ، ١ / ٦٠، السلاوي، ١ / ٩٢.

(٢٣٤) البكري، ٣٧.

(٢٣٥) الدباغ، ١ / ٦٠، ابن عذاري، ١ / ٣٥، وينظر السلاوي، ٩٢.

(٢٣٦) الدباغ، ١ / ٦٠، ابن عذاري، ١ / ٣٥، وينظر السلاوي، ٩٢.

(٢٣٧) الدباغ، ١ / ٦١، ابن عذاري، ١ / ٣٥.

(٢٣٨) ابن خلدون، ٦ / ١٠٩. وقد اختلف الباحثون في شأن الكاهنة، بل يميل بعضهم الى انكارها اصلاً معتمداً على ما يشوب اخبارها من المسحة الاسطورية ومن هؤلاء ليبو الذي زعم ان الكاهنة ما هي الا البطريق يوحنا (الذي دخل مدينة قرطاجنة بعد انتصار الكاهنة على حسان) مؤكدا ان ذلك الرأي قال به نفر من اوثق العلماء ذكر منهم أوتر، وهذا مذهب لا يقل خيالاً او خطأ عن الروايات الاخرى، فمن المعروف ان يوحنا بطريقاً روميا حملته مذكورة بوضوح في كتب المؤرخين العرب الى جانب اخبار الكاهنة، وقد اكد فورنل ان ليبو اختلف على اوتر ذلك القوى، اذ لم يقل الرجل منه شيئاً. ينظر حسين مؤنس، ٢٤٢، سعد زغلول ١ / ٢١٧.

(٢٣٩) المالكي، ٣٢، ابن عذاري، ١ / ٣٥، وينظر، الدباغ، ١ / ٦١، وابن عبدالحكم، ٢٧٠، [illegible] ابن خلدون، ٦ / ١٧٠.

التموين والتزود بالاقوات، فخربت بعض القرى، ودمرت حصن باغية[٢٤٠]، لتمنع حسان من الاعتصام به، وتجنب حسان اجراءات الكاهنة، فتقدم بقواته، وعسكر على احد روافد نهر مسكيانة[٢٤١]، يسميه ابن الاثير، نهر نيني[٢٤٢]، وزحفت الكاهنة، فعسكرت على قربة منه، ولانعرف الكثير عن المقدمات التي سبقت القتال، واكتفى المؤرخون بالقول الى ان قوات حسان كانت تعسكر في اعلى الوادي[٢٤٣]، مما يحقق لها موقعاً ستراتيجياً أفضل[٢٤٤]، ومع ذلك فقد انتهت المعركة لصالح الكاهنة، واضطر حسان امام ضغط قواتها الى الانسحاب المدبر من الميدان باتجاه برقة، وعسكر في منطقة سميت بعد ذلك بقصور حسان[٢٤٥]، لتستحوذ الكاهنة على مقدرات المغرب العربي، ولسنوات خمس[٢٤٦]، كانت شديدة الوطأة على حسان وقواته التي ظلت تنتظر الامدادات، واوامر الخليفة لاعادة الكره على قوات الكاهنة واعادة السلطان العربي على البلاد.

وبانسحاب القوات العربية، فقدت الخلافة، وللمرة الثالثة جميع الاراضي المحررة سابقاً[٢٤٧]، واصبح التحكم للكاهنة وقواتها. ولا نعرف الكثير عن احوال المغرب العربي خلال فترة حكم الكاهنة، وقصور المصادر في هذا الجانب أمر طبيعي كون الامور في المغرب لا تعنيهم الا بمقدار فاعلية القوات العربية، « ورغم انهم لا يشيرون الى اي علاقة ودية بينها وبين العرب، فالمفهوم ان الكاهنة ـ مثلها مثل كسيلة ـ كانت لا تكن للعرب الحقد او الضغينة، ان لم نقل انها كانت تحترمهم وتعرف قدرهم في قرارة نفسها على الاقل[٢٤٨] » فقد فعلت كما فعل كسيلة

---

(٢٤٠) الرقيق القيرواني، ٢٥٥، الدباغ، ١ / ٦١.

(٢٤١) الرقيق القيرواني، ٥٦، الدباغ، ١ / ٦٢، ابن عذاري، ١ / ٣٦.

(٢٤٢) الكامل، ٤ / ٣٦٩ و ٣٧٠. واطلق على معركة بنهر البلاء او وادي العذاري نسبة الى كثرة الشهداء الذي سقطوا في هذه الواقعة. ينظر، ابن عبدالحكم، ٢٧٠، الرقيق القيرواني، ٥٧.

(٢٤٣) الرقيق القيرواني، ٥٦، والنص، « وكان هو يشرب من أعلى النهر وهي من اسفله » ابن عذاري، ١ / ٣٦.

(٢٤٤) سعد زغلول، ١ / ٢١٩.

(٢٤٥) الرقيق القيرواني، ٥٧، ابن الاثير، ٤ / ٣٧٠.

(٢٤٦) عند المالكي، ١ / ٥٧، والدباغ، ١ / ٦٢، « ثلاث سنين ».

(٢٤٧) فيما عدا الطابلس (برقة) ونوبية ومراقية الى حد اجدابية. ينظر، ابن عبدالحكم، ٢٧٠.

(٢٤٨) سعد زغلول، ١ / ٢٢٠.

عقب انتصاره على عقبة بن نافع الفهري ، فاطلقت اسرى العرب واعادتهم الى حسان ، وكانوا ثمانين اسيراً[٢٤٩] ، واستبقت منهم خالد بن يزيد العبسي فأتخذته مستشاراً لها بعد ان تبنته على طريقة البربر في المواخاة[٢٥٠] .

وكل ما ينسب الى الكاهنة خلال فترة سيطرتها على المغرب هو اعمال التدمير التي قامت بها في البلاد ؛ فالمصادر التاريخية تشير الى انها امرت انصارها بتخريب المزارع والحقول ، وتهديم المدن والقلاع ، كي تمنع القوات العربية من التفكير في العودة الى البلاد وينسب اليها في هذا الصدد ، مقولة نصها : « ان العرب انما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة ، ونحن انما نطلب منها المزارع والمراعي ، فما نرى لكم الاخراب افريقية ، حتى ييأسوا منها ويقل طمعهم فيها . »[٢٥١] وعلى هذا الاساس يقال ان انصار الكاهنة دمروا كل ماصادفوه من طرابلس حتى طنجة .[٢٥٢] والحقيقة ان في المقولة المنسوبة الى الكاهنة نظر ، فلو صحت هذه المقولة لخربت الكاهنة اول ماخربت مدينة القيروان ، رمز التواجد العربي الاسلامي في بلاد المغرب ، ثم كيف تعهد الى تخريب المزروعات والحقول ، وأنصارها يعتمدون اساساً على تربية الاغنام والمواشي ، وكيف تكون الكاهنة جاهلة بهدف العرب ولديها خالد بن يزيد القيسي ؟ ولكننا لاتستبعد قيام الكاهنة بهدم بعض الحصون والقرى ، خصوصاً عندما علمت بزحف حسان بن النعمان نحوها وكان ذلك عملاً استثنائياً تطلبته ظروف المرحلة .

ـ القضاء على الكاهنة :

عندما اكمل حسان بن النعمان استعدادته ، زحف بقواته سنة ٧٨ هـ سالكاً الطريق الساحلي حتى مدينة قابس ، وقرب هذه المدينة لقي حسان قوات الكاهنة ودارت بين الطرفين معركة إنجلت عن ارتداد الكاهنة الى قلعة بشر ، ومنها مضت

---

(٢٤٩) الرقيق القيرواني ، ٥٧ ، المالكي ، ١ / ٥٧ ، ابن عذاري ، ١ / ٣٦ ، السلاوي ، ١ / ٩٢ .

(٢٥٠) عمدت الى دقيق شعير مفلق ، فأمرت به ، فلت بزيت ، ثم دعت خالد بن يزيد وابنين لها فأمرتهم فأكل ثلاثتهم على ثديها وقالت لهم : انتم الان قد صرتم اخوة ، وذلك عند البربر من اعظم العهود . ينظر ، المالكي ، ١ / ٣٣ ، الدباغ ، ١ / ٦٢ ؛ وقد ورد اسم خالد بن يزيد عند الرقيق القيرواني ، ٥٨ ، تارة ، يزيد بن خالد ، ومثله عند الدباغ ، ١ / ٦٢ ، وتارة اخرى كما هو مثبت .

(٢٥١) الرقيق القيرواني ، ٦١ ، وينظر ، ابن الاثير ، ٤ / ٣٧١ ، ابن عذاري ، ١ / ٣٦ .

(٢٥٢) الرقيق القيرواني ، ٦١ ، ابن عذاري ، ١ / ٣٦ ؛ ابن خلدون ، ٦ / ١٠٩ ؛ السلاوي ، ١ / ٩٢ .

بفلول قواتها تريد جبال اوراس ، وحسان في اثرها ، وفي اوراس كانت المعركة الفاصلة انتهت بتدمير قوات الكاهنة ، ومقتلها في مكان أطلق عليه اسم بئر الكاهنة .[٢٥٣]

وكانت الكاهنة قد اطلقت سراح يزيد بن خالد قبل وقوع المعركة الفاصلة ، ووجهته مع ولديها الى حسان بن النعمان ، وطلبت منه ان يأخذ لهما الامان منه .[٢٥٤] وقيل في تفسير ذلك ان الكاهنة كانت تتنبأ بمصيرها المحتوم في هذه المعركة .[٢٥٥] فأثرت سلامة ولديها ، واوصت خالد بن يزيد بهما خيراً ، وقد اكرم حسان وفادتهما ، وتبؤا لديه مكاناً مرموقاً فعقد لهما على ابناء قومها من البربر الذين اسلموا .[٢٥٦] وعين احدهم والياً عليهم ، وكان لهما بعد ذلك مشاركة في حروب التحرير العربية في المغرب .

ـ استعادة قرطاجنة من الروم البيزنطيين :

ترك حسان بعد تحرير قرطاجنة سنة ٧٤ هـ / ٦٩٣ م حامية عربية لضبط امور المدينة ، فلما انسحب من المغرب اثر خسارته المعركة مع الكاهنة ، استغل الروم هذا الظرف ، وجهزوا حملة بحرية قادها البطريق يوحنا ، هاجمت المدينة وابادت حاميتها الصغيرة والتي فضلت الاستشهاد دفاعاً عن المدينة ، على الانسحاب منها ، وبذا سقطت قرطاجنة مرة اخرى بيد الروم البيزنطيين .[٢٥٧]

وتطلب الامر من حسان بعد القضاء على مقاومة الكاهنة المسير نحو مدينة قرطاجنة لطرد الروم منها ، ولم تصمد المدينة امامه طويلاً ، فدخلها عنوة بعد ان كبد القوات الرومية خسائر جسيمة ، وبعد ان ولى الاحياء منهم مدبرين بمراكبهم

---

(٢٥٣) هذه رواية الدباغ ، ١ / ٦٥ ـ ٦٧ ، وينظر ، الرقيق القيرواني ، ٦١ و ٦٢ ، ابن الاثير ، ٤ / ٣٧١ ، ابن عذاري ، ١ / ٣٦ و ٣٧ .

ملخص ما فيها ، خرج من قابس ، واتخذ الطريق الصحراوي القصير عبر بلاد الجريد فأخضع قفصة ثم قسطيلية ونفزاوه ثم زحفت اليه الكاهنة ووقع بينهما اللقاء الحاسم .

(٢٥٤) الرقيق القيرواني ، ٦٢ و ٦٤ ، المالكي ، ١ / ٣٦ ، الدباغ ، ١ / ٦٦ .

(٢٥٥) الرقيق القيرواني ، ٦٢ ؛ المالكي ، ١ / ٣٦ ؛ ابن عذاري ، ١ / ٣٧ و ٣٨ ، ابن الاثير ، ٤ / ٣٧١ و ٣٧٢ .

(٢٥٦) الرقيق القيرواني ، ٦٤ ، الدباغ ، ١ / ٦٧ ؛ ابن عذاري ، ١ / ٣٨ ؛

(٢٥٧) حسين مؤنس ، ٥٩ ، سالم ، ٢ / ٢٤٨ .

الى جزيرة صقلية وجزر البحر المتوسط الاخرى .(٢٥٨)

واذا كانت بعض النصوص تشير الى ان حسان بن النعمان عمد الى تخريب المدينة بعد دخولها ، وقطع مصادر المياه عنها ليمنع الروم وغيرهم من العودة اليها(٢٥٩) ، فيبدو ان المقصود تحصينات المدينة واسوارها ، وليست قصبتها ، وهذه الاجراءات كانت تعد من بين الاجراءات الوقائية والضرورية في هذه المرحلة ، لحرمان الغزاة الروم من اي ملجأ حصين قد يلتجأون اليه في المستقبل .

وبقضاء حسان على القوتين الكبيرتين في المغرب ، الروم في قرطاجنة ، والبربر البتر في جبال اوراس ، تهيأت له فسحه من الوقت كرسها لتنظيم شؤون الولاية وانجاز مهمات عديدة اهمها :

تعمير مدينة القيروان ، وتنظيم ادارتها(٢٦٠) ، وأولى حسان مسجدها الجامع عناية كبيرة ، فزاد في بناءه وزينة بساريتين حمراوتين غاية في الروعة نقلت اليه من اثار مكان كان في المنطقة(٢٦١) .

واليه يعود الفضل باستحداث الدواوين في المغرب(٢٦٢) ، وكانت من ضرورات المرحلة ، واذا كنا لا نعرف عدد الدواوين التي استحدثت ، فالغالب ان ديوان الخراج ، والجند ، والرسائل كان في مقدمتها ، لحاجة الولاية الملحة الى هذه الدواوين ، خصوصاً بعد اقرار حسان للخراج على الروم ، ونصارى البربر ، واقرار حنش بن عبدالله الصنعاني على الصدقات يجمعها من المسلمين ، وحاجة الولاة الى من يضبط ، ويحصي الاموال المستحصلة .

وديوان الجند ، له اهميته بعد ان دخلت اعداد كبيرة من العرب البربر من الاسلام ، وانتظم منهم اثنا عشر الف رجل في صفوف القوات العربية لمقاتلة الروم ومن يكفر من البربر ،(٢٦٤) وقسمهم الى فرقتين ، كل فرقة تضم ستة الاف مقاتل

---

(٢٥٨) يخلط المؤرخون بين تحرير قرطاجنة الاول سنة ٧٤ هـ وبين استعادتها من الروم في سنة ٧٨ هـ ينظر مثلاً الدباغ ، ١ / ٦٧ و ٦٨ ؛ ابن عذاري ، ١ / ٣٤ .

(٢٥٩) المالكي ، ١ / ٣١ ؛ الدباغ ، ١ / ٦٠ ؛ ابن عذاري ، ١ / ٣٥ .

(٢٦٠) الدباغ ، ١ / ٦٩ .

(٢٦١) البكري ، ١٣ .

(٢٦٢) الرقيق القيرواني ، ٦٤ ؛ ابن خلدون ، ٦ / ١١٠

(٢٦٣) الدباغ ، ١ / ٦٩ .

وجعل على كل فرقه ولد من اولاد الكاهنة ،(٢٦٥) ولم يكتف حسان بهذا بل بث بينهم ثلاث عشرة رجلاً من اصحابه يعلمونهم اصول الشريعة واللغة العربية ،(٢٦٦) ومن هنا بدات اهمية انشاء ديوان الجند ، لتدوين اسماء المقاتلين وانسابهم اضافة الى اعطياتهم وما يتعلق بالشؤون العسكرية من امور .

ولاتخفى بعد هذا أهمية ديوان الرسائل والكتب بعد ان تمكن حسان من اقرار السلام العربي في المغرب ، وثبت اركان السلطة المركزية في نواحية .

واحتفظ حسان بدار السكة التي كانت موجودة في مدينة قرطاجنه ، فضرب النقود حسب سياسة الدولة المركزية ، وادخل تعديلات على رسم الطراز الرومي من النقود ، فجعل على وجه الدينار صورة الخليفه عبدالملك بن مروان وولي عهده الوليد ، بدلاً من صورة القيصر ، وولي عهده ، وعبارة : « بسم الله الرحمن الاله الاحد » وعلى ظهره صورة صولجان بدلاً من الصليب البيزنطي مع عبارات باللاتينية تعبر عن : « وحده لا شريك له ، ولا مثيل له » مع ذكر تاريخ الضرب ومكانه .(٢٦٧)

ويعد بناء تونس(٢٦٨) سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م من اجل اعمال حسان ، فاذا كان لعقبة بن نافع فضل السبق في بناء القيروان ، اول مدينة قامت على العروبة والاسلام ، فأن لحسان فضل اكمال ذلك العمل المجيد ، فالقيروان مدينة برية وقامت مدينة تونس لتكون منفذاً للمغرب على البحر ، ولتحل محل قرطاجنة تكون« قوة وعدة للمسلمين الى آخر الدهر ، يصنع بها المراكب ، ويجاهد الروم في البر والبحر وان يغار فيها على ساحل الروم . »(٢٦٩)

وقامت مدينة تونس في موضع قرية يقال لها ترشيش على مسافة اثنى عشر ميلاً شرق مدينة قرطاجنة ،(٢٧٠) وفي ترشيش ، اسس حسان دار صناعة السفن ، وجعل رادس(ادس) مرساً .(٢٧١) واستعان في انجاز مشاريعه باعداد كبيره من البربر

---

(٢٦٤) الرقيق القيرواني ، ٦٤ ؛ ابن الاثير ، ٤ / ٣٧٢ ؛ ابن عذاري ، ١ / ٣٨ .

(٢٦٥) نص عبيدالله بن صالح ، ٢٢٣ .

(٢٦٧) سعد زغلول ، ١ / ٢٢٠

(٢٦٨) عن اصل التسمية ، ينظر ، البكري ، ٢٨ ، الاستبصار ، ١٢١ .

(٢٦٩) البكري ، ٢٨ ، وينظر ، الرقيق القيرواني ، ٦٦ ، رحلة التجاني ، ـ ٦ و ٧ .

(٢٧٠) البكري ، ٢٨ ؛ سالم ، ٢ / ٢٤٩ .

(٢٧١) البكري ، ٢ ؛ حسين مؤنس ، ٢٦٢ .

لقطع الاخشاب . وبألف عائلة قبطيه . وصلت اليه من مصر للعمل في دار الصناعة .(٢٣)

ولما كان موضع تونس غير مفتوح على البحر مثل قرطاجنة (تقع على لسان يكون شبه جزيرة محصورة بين السبخة (سبخة الرياانة) شمالاً والبحيرة(بحيرة تونس) جنوباً) بينما تقع تونس الى الداخل غرب البحيرة التي تتصل بالبحر من جهة الشرق . حيث يقع مرسى رادس . ولما كانت البحيرة ضحلة لا تسمح بسير المراكب الحربية . وجب حفر قناة في وسطها تصل مابين دار الصناعة في تونس والميناء او المرسى في رادس . »(٢٣) والى هذا العمل يشير الدباغ عندما قال ان حسان اخرق البحر اليها وجعلها دار صناعة واخرج اليها الماء فاجراه من البحر اليها .(٢٥)

واهتم حسان بعمارة المدينة فأنشأ بها مسجداً جامعاً . وداراً للامارة ومعسكراً للقوات البرية والبحرية . وقدر لهذه المدينة ان تصبح اعظم ثغور المغرب بعد ذلك بثلاثين سنه . فقد نمت واتسعت في ولاية عبيد الله بن الحبحاب . فأهتم بدار صناعة السفن . وبنى بها المسجد الجامع المعروف بالزيتونة .(٢٦)

وبهذا استطاع حسان بن النعمان من تأسس مدينة ثانية في المغرب فاذا كانت مدينة القيروان مركزاً للقوات العربية . ومحرساً لبلاد الداخل . فقد كانت تونس رباطاً يحمي القيروان . ومحرساً للبحر وميناء للمغرب حل مكان مدينة قرطاجنة .(٢٧)

وبقيام هذه المدينة حيل بين الروم وبلاد المغرب . فلم يجازفوا في النزول الى ارضه . فأمن العرب شرهم . وقلبوا الآيه عندما بدُوا من تونس يجهزون الحملات البحرية المتواليه باتجاه جزر البحر المتوسط ومواطن الروم الاخرى .

وهكذا كانت أعمال حسان العديدة مبعث اعتباره المحرر الحقيقي لبلاد المغرب .(٢٨)

---

(٢٧٢) البكري ، ٣٨ و ٣٩ .
(٢٧٣) سعد زغلول ، ١ / ٢٣٣ .
(٢٧٤) معالم الايمان ، ١ / ٦٨ ؛ وينظر ، الرقيق القيرواني ، ٦٦ ، ابن ابي الدينار، ٢١ .
(٢٧٥) المالكي ، ١ / ٣٧ ؛ وينظر سالم ، ٢ / ٢٤٩ .
(٢٧٦) ينظر ولاية ابن الحبحاب .
(٢٧٧) حسين مؤنس ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
(٢٧٨) سعد زغلول ، ١ / ٢٢٨ .

فحسان ، قضى على قوة الروم البيزنطيين ، وحرر قرطاجنة رمز كيانهم وتواجدهم في البلاد .

وتمكن وبأقتدار عال من القضاء على الكاهنة ، وكسب انصارها الى جانبه عندما دخلوا الاسلام على يديه ، واصبحوا قوة فاعلة في صفوف القوات العربية .

ونقل العرب نقله نوعيه في مجالي الادارة والتنظيم ، فدون الدواوين وضرب النقود ، وحدد علاقة الولاية مع من بقى من الروم والبربر على النصرانية ، ففرض عليهم ما فرضه الاسلام من خراج وجزية ، وأقر الصدقات على المسلمين ، ونسب لاخذها التابعي المشهور حنش الصنعاني.(٢٩)

ولكي ينهض باقتصاديات البلاد ، فقد اقطع لمن اسلم من قبائل البربر الارضين(٣٠) لأستغلالها في زراعة الغلال والمحاصيل المختلفة . وبهذا الاجراء حقق حسان هدفين هامين .

الأول : استقرار القبائل في مناطق معلومة للسلطة المركزية ، ومرتبطة بها .

والثاني : تنمية الاقتصاد الوطني ، عن طريق ما تنتجه هذه الارضين من غلال ومحاصيل وما يقدمه مستغليها الى خزينة الولاية من صدقة تزيد من مصادر خزينة الولاية المالية .

ولم تكن أهمية هذه النقلة في الترتيبات المذكورة آنفاً ، وانما اهميتها في تمكين الدولة من احاطت ماتم تحريره ، بحدود علاقتها امتداد العروبة والاسلام ، بحيث لم نر بعد هذا التأريخ ردة تمكنت من الانقلاب على هذا الواقع .

عاد حسان بن النعمان الى المشرق سنة ٨٦ هـ(٣١) فلقي الخليفة الوليد بن عبد الملك وأوقفه على ماتم انجازه في بلاد المغرب ، ويبدو أن حساناً كان قد بلغ من

---

(٢٧٩) الدباغ ، ١ / ٦٨ .
(٢٨٠) المالكي ، ١ / ٣٦ والنص ، « ومن ذلك صارت الخطط للبربر في الريقية فكان – يعني حسان – يقسم الفيء بينهم ، والارض ، وحسنت طاعتهم ، لدانت له الريقية » وينظر الدباغ ، ١ / ٦٧ .
(٢٨١) ينظر ، حسين مؤنس ، ٢٦٥ و ٢٦٦ ، سعد زغلول ، ٢٣٦ و ٢٣٧ ، سالم ، ٢ / ٢٥٠ .

العمر ما منعه من العودة الى ولاية المغرب حتى عرف « بالشيخ الأمين »[٢٨٣] فطلب الاستعفاء من الخليفة.[٢٨٤] ثم ما لبث ان مات بعد ذلك بقليل.[٢٨٤]

موسى بن نصير..

١ ـ استكمال تحرير المغرب العربي.

خلف حسان بن النعمان على ولاية المغرب العربي سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م[٢٨٦] والملاحظ ان المؤرخين لا يشيرون خلال فترة ولاية موسى بن نصير على المغرب الا على الاعداد الكبيرة من السبي والاسرى، وضخامة الأموال التي كانت تدخل مدينة القيروان، رغم ان بعض الحملات العسكرية لم تكن بالأهمية التي تحتمل مثل هذه الغنائم الكبيرة، واذا كانت التواريخ غير ثابتة أو مجهولة اطلاقاً، فأن مواضع العمليات العسكرية هي الأخرى غير اكيدة بالمرة[٢٨٧]

والمعول عليه ان موسى بن نصير، بدا عملياته العسكرية بالقضاء على القوى المتواجدة في المناطق التي خرجت عن الطاعة، بعد مغادرة حسان بن النعمان بلاد المغرب، واستضعافهم لنائبه عليها ابو صالح،[٢٨٨] ثم اعقبها بحملات أخرى توغلت في المغرب الأقصى لأخضاع القبائل التي لم تخضع بعد للسلطة المركزية، أو تلك التي ارتدت عن الطاعة بعد استشهاد عقبة بن نافع الفهري.

---

(٢٨٢) الرقيق القيرواني، ٦٧؛ ابن عذاري، ١ / ٣٩.

(٢٨٣) ينظر سعد زغلول، ١ / ٢٣٥ و ٢٣٦.

(٢٨٤) حسين مؤنس، ٢٦٦.

(٢٨٥) موسى بن نصير بن عبدالرحمن بن زيد اللخمي، ولد سنة ١٩ هـ في خلافة عمر بن الخطاب (رض) وقد تولى مدة مناصب لنبي امية قبل توليته المغرب.

(٢٨٦) هذا ما قاله ابن عذاري، ١ / ٤١؛ وقد اختلف المؤرخون في سنة توليته فقيل سنة ٧٧ هـ، وقيل سنة ٧٨ هـ و ٧٩ هـ و ٨٨ هـ و ٨٩ هـ واثبت سعد زغلول، ١ / ٢٣٨؛ التاريخ المثبت، اعتماداً على ابن الاثير، والحقيقة ان ابن الاثير، ٤ / ٥٢٩ يجعل ولايته سنة ٨٩ هـ وليست سنة ٨٦ هـ.

(٢٨٧) سعد زغلول، ١ / ٢٤١.

(٢٨٨) الرقيق القيرواني، ٦٨؛ ابن الاثير، ٤ / ٥٢٩.

وكانت اولى الحملات العسكرية، حملة قادها عبدالملك الخشيني[٢٨٩] مؤلفة من خمسمائة فارس، باتجاه قلعة زغوان،[٢٩٠] للقضاء على عناصر التمرد والشغب فيها، وتمكنت هذه القوة من تطويع القلعة واعدام رئيسهم.[٢٩١] وارسل ابنه عبدالله على رأس قوة أخرى من الفرسان جاست نواحي القيروان وقضت على بؤر المقاومة فيها.[٢٩٢]

وخرج ابنه الآخر مروان فتمكن من تطهير بعض المناطق، واخضاع الخارجين عن الطاعة.[٢٩٣]

وبهذه الحملات استطاع موسى بن نصير ان يجعل من اقليم القيروان وما حوله قاعدة امينة ينطلق منها للتوغل في المغرب الاوسط، والمغرب الأقصى. فخرج على رأس حملة كبيرة توغلت في المغرب الاوسط، فأرتدت القبائل أمامه ناحية الغرب،[٢٩٤] فتبعها عبر الوس الادنى حتى بلاد سجلماسة ووادي درعة، ويبدو ان القبائل التي استبد بها الخوف قد اختلطت بعضها ببعض خلال تلك المطاردة، فبينما يذكر عبيدالله بن صالح ان موسى وجد قبائل كتامة بدرعة وانه قتل ملكهم كما مون، يضيف ابن عذاري الى قبائل كتامة، قبائل هوارة وزناتة. وقد تمكن موسى من اخضاع هذه القبائل، وتركهم بعد ان اخذ منهم الرهائن.

وفي طريق عودته الى المغرب الاوسط، اصطدم مع قبائل صنهاجة فتمكن بعد قتال شديد من الانتصار عليهم وقتل زعيمهم على وادي ملوية.[٢٩٥]

واثر هذا الانتصار عزم موسى على توسيع دائرة نشاطه، فأرسل ابنه مروان على

---

(٢٨٩) قال ابن قتيبة، قادها رجل من خشين اسمه عبدالملك، الامامة والسياسة، ٢ / ٦٢.

(٢٩٠) على مسيرة يوم واحد من القيروان.

(٢٩١) ابن قتيبة، ٢ / ٦٢؛ ابن عذاري، ١ / ٤٠؛ وفيه « وبلغ سبيهم عشرة الاف » وهو رقم مبالغ فيه كثيرا.

(٢٩٢) ابن الأثير، ٤ / ٥٤٠؛ ابن عذاري، ١ / ٤٠ وذكر ان سبيها بلغ مائة الف رأس. وينظر، ابن قتيبة، ٢ / ٦٢ حيث قائد الحملة عبدالرحمن بن موسى بن نصير.

(٢٩٣) ابن عذاري، ١ / ٤٠؛ وابن الأثير، ٤ / ٥٤٠ « ابنه هارون » بدلاً من مروان وهي تصحيف.

(٢٩٤) الرقيق القيرواني، ٦٩؛ ابن عذاري، ١ / ٤٢.

(٢٩٥) سعد زغلول، ١ / ٢٤٢، وعن مقتل كمامون، ينظر، ابن عذاري، ١ / ٤١.

(٢٩٦) نص عبيدالله بن صالح، ٢٢٤.

رأس حملة من خمسة آلاف مقاتل توغلت في السوس الأقصى وتمكن بعد عدة وقائع من اخماد حدة مقاومتهم واستنزالهم عن معاقلهم .(٢٩٧)

وعقد لقائده زرعة بن ابي مدرك على حملة توغلت في بلاد المصامدة في طرابلس العليا ، فصالحهم دون قتال . كما صالح القبائل المجاورة ، وقدموا رهائن من اشرافهم دليل حسن طاعتهم .(٢٩٨)

وآخر الحملات الكبيرة التي قادها موسى بن نصير كانت حملته على طنجة فبعد توطيد الأمن في المغرب الأوسط والأقصى من صحراء درعة الى السوس الأقصى الى بلاد المصامدة ، قاد قواته الى اقليم طنجة ، وظهر خلال زحفه جيوب المقاومة لتأمين خطوط مواصلته . وما أن أشرف على مدينة طنجة حتى بث السرايا في اتجاهات مختلفة وتوغلت حتى السوس الأدنى ، فأطاعته قبائل المنطقة ، وولى عليهم والياً يسوس امورهم .(٢٩٩) ثم حاصر مدينة طنجة حصاراً شديداً حتى دخلها(٣٠٠) ، فاسلم اهلها(٣٠١) وكانوا قبائل من البتر والبرانس(٣٠٢) .

وعاد موسى الى القيروان تاركاً طارق بن زياد عاملا على طنجة وما والاها .(٣٠٣) وتحت امرته اثنا عشر الف مقاتل جلهم من العرب البربر ، وترك منهم سبعة وعشرين رجلاً يعلمون الناس اصول الشريعة الاسلامية واللغة العربية .(٣٠٤) وفي طريق العودة ، ارسل موسى قوة تمكنت من دخول مدينة مجانة واقرار الامور فيها .(٣٠٥)

---

(٢٩٧) نص عبدالله بن صالح ، ٢٢٤ وينظر ، سعد زغلول ، ١ / ٢٤٢ .

(٢٩٨) ابن عذاري ، ١ / ٤٢ .

(٢٩٩) ابن عبدالحكم ، ٢٧٦ .

(٣٠٠) المقري ، نفح الطيب ، تحقيق احسان عباس ، ١ / ٢٢٤ ، وينظر ، الرقيق القيرواني ، ٦٩ ، ابن الاثير ، ٤ / ٥٥٥ .

(٣٠١) المقري ، ١ / ٢٢٤ ، وينظر ابن عبد الحكم ، ٢٧٦ ، البلاذري ، ٢٢٢ ، وفيه ، ٥ وهو أول من نزلها واختط فيها للمسلمين ، ٥ .

(٣٠٢) ابن عبد الحكم ، ٢٧٦ .

(٣٠٣) البلاذري ، ٢٢٢ ، الرقيق القيرواني ، ٦٩ ، ابن عذاري ، ١ / ٤٢ .

(٣٠٤) الرقيق القيرواني ، ٦٩ ، وينظر ابن عذاري ، ١ / ٤٢ .

(٣٠٥) دخلها بشر بن فلان ، وهي على مسيرة خمسة ايام من مدينة القيروان ينظر ، ابن الاثير ، ٤ / ٥٥ ، ورواية ابن الحكم ، ٢٧٦ ، والرقيق القيرواني ، ٧٠ ، وقائد الحملة عندها بسر بن ابي ارطاة .

٦ ـ النشاط البحري وفتح الاندلس .

كان لموسى بن نصير خلال حملاته البرية نشاط واسع في البحر المتوسط ، فقد ارسل حملات عديدة طرقت جزر صقلية وسردينية والبليار (ميورقة ومينورقة واليابسة) وقامت جميع هذه الحملات من مدينة تونس والتي اصبحت مهيئة في عهده لمثل هذه الحملات ، فقد اهتم موسى بن نصير بعمران المدينة ، ووسع دار صناعة السفن فيها ، وشق قناة بطول اثني عشر ميلاً بين الميناء (رادس) وبين المدينة ، فاصبحت المدينة وكأنها مشتى للسفن تقيها من العواصف ، وسوء الاحوال الجوية .(٣٠٦)

ولقد قاد عبدالله بن موسى بن نصير اولى الحملات البحرية المنطلقة من قاعدة تونس . وقد ضمت الحملة مشاهير الرجال حتى عرفت « بحملة الاشراف » وانطلق باتجاه جزيرة صقلية ، فتمكنت من اهدافها المرسومة لها وعادت سالمة .(٣٠٧)

والحملة الثانية ، قادها موسى بن عياش بن أخيل سنة ٨٦ هـ / ٧٠٦ م فعاودت ضرب جزيرة صقلية وعاصمتها سرقوسة ، وعادت حملة بالغنائم الوفيرة .(٣٠٨)

وفي سنة ٨٩ هـ / ٧٠٨ م خرج عبدالله بن مرة على رأس حملة بحرية طرقت جزيرة سردينية ، فدخل مدناً منها ، ونكل بحامياتها وعاد بأموال كبيرة .(٣٠٩)

وخرج عبدالله بن موسى بن نصير بقوة بحرية الى جزر البليار ، فافتتح جزيرتي ميورقة ، ومينورقة ، وعادت القوة بسلام سنة ٨٩ هـ .(٣١٠)

وكانت هذه الحملات ، بمثابة التدريب العملي للقوات العربية البحرية والتي تمخضت عن اكبر حملة بحرية انتهت بفتح العرب لبلاد الاندلس .

---

(٣٠٦) ابن قتيبة ، ٢ / ٧٠ و ٧١ ، وينظر سعد زغلول ، ١ / ٢٤٩ .

(٣٠٧) ابن قتيبة ، ٢ / ٧١ .

(٣٠٨) ابن قتيبة ، ٢ / ٧١ .

(٣٠٩) ابن قتيبة ، ٢ / ٧١ .

(٣١٠) ينظر ، سعد زغلول ، ١ / ٢٤٨ .

ـ فتح الاندلس :(٣١١)

لم يكن فتح العرب لاسبانيا مغامرة حربية ارتجالية ، بل كان فتحاً منظماً ، حسب خطة مركزية اشترك في وضعها دار الخلافة وقادة المغرب العربي ، فعلى الرغم من معرفة العرب ، بالوضع المتردي الذي كانت عليه اسبانيا ، لم تفامر القيادة بارواح الجنود ، دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة والقيام بحملة استكشافية على جنوب اسبانيا ، لجس النبض ومعرفة مدى مقارمة الاعداء في الجانب الآخر . وقد عهد بقيادة هذه الحملة الى طريف بن مالك المعافري ، الذي عبر الى الاندلس سنة ٩١ هـ / ٧١٠(٣١٢) م بقوة تتألف من اربعمائة راجل ومائة فارس حيث تمكن من النزول في مكان يدعى بالوماس على الشاطيء الاسباني (سميت فيما بعد باسم طريف) وتمكن طريف من تحقيق اهدافه والعودة الى المغرب .(٣١٣)

ـ حملة طارق بن زياد :

ان النتائج المرضية التي حققتها حملة طريف شجعت القيادة على تنفيذ خطة الفتح ، فاوعزت الى طارق بن زياد بقيادة حملة مكونة من سبعة الاف مقاتل عززت فيما بعد بخمسة الآف آخرين(٣١٤) ، ونزل طارق في مكان كان يسمى جبل كالبي ، والذي اتخذ اسم طارق منذ ذلك اليوم فأصبح يسمى بجبل طارق ، وهناك خلاف بشأن الموعد الصحيح للحملة ، فيذكر بعض المؤرخين السنة التي حدث فيها الفتح اي سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م ، ويثبت آخرون اليوم والشهر الذي حدث فيه العبور ، ومع هذا فان الاغلبية تعتقد بأن نزول طارق على الشاطيء الاسباني حدث في رجب ٩٢ هـ / نيسان ٧١١(٣١٥) م وهذا وقت مناسب جداً لا سيما انه يقع في موسم الربيع الذي يتميز باعتدال الجو ، ولقد اقام طارق عدة ايام في الجبل الذي اتخذه قاعدة لعملياته العسكرية (٣١٦) والتي ابتدأت بفتح الجزيرة الخضراء والمناطق المجاورة من اجل السيطرة على المضيق وحماية خطوطه الخلفية ، وتأمين اتصالاته بقواعده في المغرب . وفي الوقت نفسه ارسل كتيبة قوية من الجند بقيادة عبد الملك بن عامر المعافري تمكنت من السيطرة على حصن قرطاجنة الواقع شمال غرب جبل طارق (٣١٧)

ـ معركة كورة شذونة :ـ

مضى على طارق نحو شهرين ونصف قبل ان تقع المعركة الفاصلة بينه وبين لذريق حاكم القوط في اسبانيا ، وتذكر الروايات انه هوجم في هذه الاثناء من قبل قائد قوطي يسمى تدمير ، الذي لم يستطيع اعاقة تقدم جيش طارق فارسل الى لذريق يطلب المساعدة ،(٣١٨) واعتماداً على روايات اخرى ، فان لذريق كان قد أرسل قوات عديدة لايقاف قوات طارق ، كانت احداها بقيادة ابن اخ له يدعى بنج ، ولكنه قتل مع رجاله .(٣١٩) ولا يتوفر لدينا دليل يمكننا من ان نقطع برأي جازم في صحة هاتين الروايتين ، ولكن يبدو انه من غير المحتمل ان يقوم لذريق بارسال قوات من مكان بعيد في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة ، حيث كان مشغولاً بالقضاء على اضطرابات كانت في مقاطعة الباسك .

وعلى أية حال فما ان سمع لذريق بنزول طارق حتى رجع نحو الجنوب ، وقام بالاستعدادات اللازمة لمواجهة جيش الدوله العربية ومنها انه توصل الى مصالحة اسرة غيطشة وانصارها للوقوف صفاً واحداً ضد القوات العربية ، وتمكن من جمع جيش فاق كثيراً جيش طارق بن زياد .(٣٢٠)

---

(٣١١) اعتمدنا في هذا الفصل على كتابنا المرسوم ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ص ٢٤ ـ ٤٢ ، وسنشير الى اهم المصادر المذكورة هناك .

(٣١٢) المعجم ، ١ / ٢٥٤ .

(٣١٣) اخبار مجموعة ، ٦ ، ابن عذاري ، ٢ / ٥ .

(٣١٤) اخبار مجموعة ، ٢٧ ، المقري ، ١ / ٢٣١ .

(٣١٦) وعن خطبة طارق بن زياد ، ومسألة احراق السفن حال وصوله الساحل الاسباني ينظر ، احمد بدر ، دراسات في تاريخ الاندلس ، دمشق ١٩٧٢ ، ص ٢١ ـ ٢٢ ، الحجي ، التاريخ الاندلسي ، دار القلم ، دمشق ١٩٧٦ ، ص ٥٧ ـ ٦٢ .

(٣١٧) ابن القوطية ، ٨ و ١٩ ، ابن عذاري ، ٢ / ٩ ، ٢٥٦ .

(٣١٨) ابن حبيب ، ٢٢٢ ، المقري ، ١ / ٢٤ .

(٣١٩) ابن عذاري ، ٢ / ١٨ ، وينظر ، حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ٧٠ .

(٣٢٠) كان جيشه يتراوح بين اربعين الف الى مائة الف ، ينظر ، ابن حبيب ، ٢٢٢ ، ابن الاثير ، ٤ / ٥٦٢ ، اخبار مجموعة ، ٧ ، المقري ، ١ / ٢٥٨ .

وتقابل الجيشان في كورة شذونة جنوب غرب اسبانيا . ولكن موقع المعركه الدقيق غير معروف . وهناك العديد من الدراسات . بشأن المكان الذي وقعت فيه المعركه الفاصلة بين لذريق وطارق . ومصير لذريق في هذه المعركه . وعلى سبيل المثال . فان المستشرق الاسباني سافيدرا . يرى حدوث معركتين الاولى . وقعت قرب مدينة شذونة بين جبل رتين وبحيرة لاخنا . والثانية . عندما هرب لذريق نحو الشمال وحارب جيش الدوله العربية بالقرب من شلمنقه . حيث قتل ودفن في منطقة مجاورة .

ويعارض البعض هذه الفكره ويتفق مع المؤرخين العرب على حدوث معركه واحدة بين القوط والعرب . وقعت بالقرب من ضفاف نهر وادي بكة او لكة في كورة شذونة . وان لذريق هزم وقتل او فقد في هذه المكان[٣٣١] .

ويذكر بعض المؤرخين ان لذريق هرب من ساحة القتال . وانة قتل او غرق في مكان يدعى وادي الطين . ولكنهم لم يحددوا موقع هذا المكان .[٣٣٢]

وعلى كل حال فالمعارك بين الطرفين استغرقت ثمانية ايام . ومعركة واسعة النطاق كهذه . سميت بعدة اسماء مختلفة . مثل معركه البحيرة . وادي بكة وادي لكة . وادي البرباط . شويش . او شمالها [٣٣٣] ولهذا فمن المحتمل جداً انها حدثت كلياً او جزئياً في كل هذه المناطق المذكورة التي تقع في كورة شذونة . فهي معركه هذه الكورة بأسرها .[٣٣٤]

ولم يضيع طارق بن زياد وقته فاتجه صوب مدينة استجه حيث تجمعت فلول القوط المنهزمين فضرب عليها الحصار . وبعد معركة حامية تمكن طارق من دخولها . بعد فرار القوات باتجاهات مختلفة .[٣٣٥] ولمنع القوط من أية محاولة لتوحيد صفوفهم قرر طارق الزحف نحو العاصمة طليله . وتذكر المصادر ان طارق ارسل عدة حملات باتجاه المدن الاسبانية المختلفة فارسل حملات الى مالقة . والبيرة . ومرسية . وقرطبه .[٣٣٦] ولكن من غير المعقول ان يقوم طارق بتقسيم

(٣٣١) ينظر كتابنا ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ٢٠ والهامش رقم ٣٢ ، ٣٣ .
(٣٣٢) الرقيق القيرواني ، ٧٥ ، ابن عذاري ، ٢ / ٧ .
(٣٣٣) العبادي ، في تأريخ الاندلس والمغرب ، ٧٣ .
(٣٣٤) العبادي ، ٧٣ .
(٣٣٥) ابن القوطية ، ٢٩ ابن عذاري ، ٢ / ١٨ .
(٣٣٦) اخبار مجموعة ، ٩ و ١٠ ، ابن عذاري ، ٢ / ٩ .

قواته القليلة العدد في الوقت الذي كان ينوي فيه التوغل بعمق في ارض معادية . ويمكن قبول الرواية التي تشير الى الحملة المرسلة الى قرطبه بسبب وجود الاشارات الكثيرة الى قائد الحملة ، مغيث الرومي والذي تمكن من دخول المدينة بعد حصار قارب الثلاثة اشهر .[٣٣٧]

وواصل طارق طريقه الى طليطلة عبر الطريق الروماني القديم الذي يمر بمدينة جيان . فعبر نهر الوادي الكبير عند منجيبار وتقدم الى الشمال[٣٣٨] وعندما وصل الى طليطلة وجدها خالية من سكانها . وان حاكمها قد انسحب الى مدينة أخرى خلف الجبال . فسار طارق لملاحقة الهاربين مخلفاً وراءه بعض الجنود الذين تولوا مسؤولية الدفاع عن المدينة . واتخذ طريق وادي الحجارة . فوصل الى مدينة المائدة .[٣٣٩] ويحتمل انها قلعة هنارس التي تقع شمال شرق مدينة مدريد . وبعد أن فتح مدينة المائدة ووادي الحجارة . عاد الى مدينة طليطلة سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م[٣٤٠]

ـ حملة موسى بن نصير : ـ

بعد أن اكمل طارق بن زياد المرحلة الاولى من فتح الاندلس بنجاح . عبر موس بن نصير بقوات مكونة من ثمانية عشر الف مقاتل في شهر رمضان سنة ٩٣ هـ تموز ٧١٢ م . وقسم موس جيشه الى وحدات عديدة بلغت اكثر من عشرين وحدة . كل وحدة تحت راية . وكان اثنتان من هذه الرايات تحت قيادة موسى المباشرة . وتولى ابنه عزيز قيادة راية ثالثة . اما بقية الرايات . فكانت بقيادة قوادة الاخرين . وعسكرت هذه القوات بالقرب من الجزيرة الخضراء . لعدة ايام من اجل الراحة والاستعدادات العسكرية . وعندما قرر موسى السير استشار قواده بشأن الطريق التي يجب سلوك . وقد اتفقت الاراء ان يبدأوا بمنطقة اشبيلية . وبقية الاجزاء الغربية الاخرى . التي لم يفتحها بعد طارق بن زياد . وقبل ان يغادر موسى الجزيرة الخضراء . أمر بارساء الحجر الاساس . لبناء مسجد هناك تخليداً

(٣٣٧) ابن القوطية ، ٨ ، الرقيق القيرواني ، ٧٦ ، اخبار مجموعة ١٣ و ١٤ .
(٣٣٨) المغرب ، ١ / ٣٦١ .
(٣٣٩) ابن القوطية ، ٩ ، ابن عذاري ، ٢ / ١٢ .
(٣٤٠) اخبار مجموعة ، ١٥ ، ابن الاثير ، ٤ / ٥٦٤ ، ابن عذاري ، ٢ / ١٢ .
(٣٤١) الرقيق القيرواني ، ٧٦ ، المقري ، ١ / ٢٧٧ .